S a l e h A b u E s b a ' a

في الثقافة الإعلامية

د. صالح أبو اصبع





في الثقافة الإعلامية

2007



رقم التصنيف:302,2
المؤلف ومن في حكمه:صالح أبو أصبع
عنوان المصنف: في والثقافة
رؤوس الموضوعات:الاتصال الجماهيري
رقم الايداع لدى دائرة المكتبة
الوطنية: (/ /2005)
الملاحظات: دار آرام للدراسات والنشر
والتوزيع
*تم إعداد بيانات الفهرسة الأولية من
قبل دائرة المكتبة الوطنية

دار آرام للدراسات والنشر والتوزيع
Aram Studies, Publishing & Distribution
House
Fax: (+962-6) 5411535 : (+962-6)5411525
P.O.Box⌧712-Khalda, 118-21 Amman - Jordan

في الثقافة الإعلامية



صالح خليل أبو أصبع



في الثقافة الإعلامية

الفهرس



توطئة

يضم هذا الكتاب مجموعة من الدراسات المتنوعة التي تنطلق من اهتمام صاحبها بقضايا الثقافة والاتصال، وقد اجتمعت هذه الدراسات على مدى زمني طويل، وبعضها قدّم في مؤتمرات علمية أو ثقافية، أو نشر في بعض الدوريات العربية. لكنّ جمعها في كتاب واحد بعد هذا الزمن يعني أن المؤلف يراها صالحة للقراءة، ومفيدة لأجيال جديدة من القراء، نظراً لارتباطها بقضايا وموضوعات متجددة في التداول الثقافي الراهن.

وقد يأخذ بعض المهتمين على الكتّاب هذا النوع من التأليف، الذي يبنى على ضم دراسات أو مقالات، بحجة ضعف المنهجية، وغياب روابط كافية على مستوى الكتاب كله، فما الذي يجمع مقالات لم تكتب أصلاً ضمن خطة منهجية واحدة؛ وما الذي يسوّغ نشرها في كتاب واحد؟؟

ومع الإقرار بوجاهة هذا الرأي، فإن نظرة متأنية للمسألة من وجه آخر، تبرز فائدتها وقيمتها؛ فلا شك أن المقالات والدراسات المتناثرة تنطوي على قيمتها الخاصة، وقد يكون في بعضها أفكار وآراء تتجاوز مافي الكتب المطوّلة، فليست مسألة الفكر والعلم مسألة قِصَر أو طول، بقدر ما هي مرتبطة بقيمة الفكرة وجدّتها ومقدرتها على إثارة الأسئلة. وفي جمع المقالات والدراسات فائدة أيضاً للقارئ المهتم الذي فاتته الدوريات، أو لم يتسنّ له متابعة الندوات والمؤتمرات التي قدّمت فيها، فالكتاب يمثّل من هذه الناحية طاقة جديدة توصل هذه المواد إلى المهتمين بها، بصورة سهلة ميسورة، تعجز عنها الوسائل الأخرى.

وهذا الكتاب في جملته قراءات في ظواهر الثقافة وقضاياها المتجددة.

وفي قضايا الثقافة اهتمّ المؤلف بمسائل حول الهوية، وحول تأثيرات الإعلام وتكنولوجيا الاتصال الجماهيري في الأدب والثقافة، وهي قضايا استجدّ الاهتمام بها وتزايد في السنوات الأخيرة، وبمقدور المؤلف أن يقدم آراء مناسبة فيها، نظراً لاهتمامه وتخصصه في طرفي هذه الثنائية: الأدب والإبداع من جانب، والاتصال والمعلوماتية من جانب آخر. كما أن قراءة هذه الثنائية والربط بين أطرافها يعني الإيمان بقانون دينامية الثقافة وقدرتها على الحِراك، بالرغم من أن ذلك قد يتم بصورة بطيئة، تشترط "التبئية" و "التكيّف" نظراً لطبيعتها الخاصة المتعلقة بالهويّة وبخصوصية الجماعة أو المجتمع.

ويأمل المؤلف في الختام، أن يفيد القارئ من هذا الكتاب، وأن يجد في تنوعه وتعدّد مداخله عاملاً مشجعاً على جولة مفيدة في قضايا الأدب والثقافة الراهنة.

صالح أبو أصبع

عمان – تموز 2007

الفصل الأول

كيف ندرس الاتصال في تراثنا؟

نشرت في (**مجلة دراسات** – الشارقة، العدد الرابع والخامس 1992).

الفصل الأول

كيف ندرس الاتصال في تراثنا ؟

الاتصال هو النشاط الذي يجعل الحياة ممكنة. وبه يحقق الإنسان تفاعله مع غيره من البشر والكائنات. وعن طريقه ينجز أعماله، ويحقق ويعيش لحظات فرحه وترحه. ومن خلال النشاط الاتصالي يتم نقل العادات والتقاليد ويتم تعزيز القيم في المجتمع أو خلخلتها، ومن خلاله تتم عملية التعليم والتنشئة الاجتماعية ويتم نقل المعلومات والآراء. ويظل الاتصال هو النشاط الأساسي للإنسان يعبر فيه عن مشاعره وأفكاره ويستخدمه لتسيير مصالحه.

وقد تطور الاتصال من استخدام الإشارة إلى التعبير باللغة، وتطورت وسائله من استخدام الحمام الزاجل وقرع الطبول إلى استخدام الأقمار الصناعية. وكان أعظم منجزات البشرية ابتكار الأبجدية كرموز للتعبير عن اللغة.

وقد عنيت شعوب العالم باللغة باعتبارها أداة اتصالية . وتفاوتت درجات العناية بين الشعوب بلغتها ودرجات تقديرها واعتزازها بها. ولقيت اللغة العربية، لغة القرآن الكريم عناية يندر أن نجد لها مثيلا في العالم. ويكفي أن لغة القرآن الكريم منذ أكثر من أربعة عشر قرنا ما زالت وستظل لغة التواصل بين العرب. ولا نجد بين لغات العالم لغة مثل اللغة العربية ما فتئت تمتلك حيويتها القديمة، والقدرة على فهم نصوصها التي كتبت منذ أكثر من ألفي عام. وكانت أول كلمة نزلت على نبينا محمد (صلى الله عليه وسلم) هي كلمة إقرأ ... وكانت حكمة الله في أن جعل الناس قبائل وشعوباً ليتعارفوا .. أي أن يتواصلوا. وفي كليهما – القراءة وتعارف الناس- يكمن جوهر الحياة ونشاطها الأساسي الذي دونه تصبح الحياة مستحيلة.

وهذا النشاط الاتصالي كان وما يزال جوهر الحياة منذ الأزل فالأسرة تتفاعل بعضها مع بعض عن طريق الاتصال ... والأب والأم يعبران عن مشاعرهما لأبنائهما عن طريق الاتصال، وينشئان أبنائهما عن طريقه. وعن طريق الاتصال تتم المبادلات التجارية والمفاوضات السياسية،

ويعبر الإنسان عن إبداعاته ويرفه عن نفسه وتنتشر الأفكار والمبادئ. وقبل هذا كله تمت الرسالات السماوية عن طريق الاتصال، وبه انتشرت دعوة الإسلام. إذن فالاتصال هو النشاط الذي به يصبح الإنسان – حسب تعبير ابن خلدون – مدنياً بطبعه.

والاتصال : كما عرفناه "عملية ديناميكية يقوم بها المتصل / المرسل – عبر وسيلة ما – لنقل رسالة تحمل المعلومات أو الآراء أو الاتجاهات أو المشاعر إلى الآخرين، لهدف ما، عن طريق الرموز، في ظرف ما، وبغض النظر عن المعيقات أو التشويش الذي يرافق هذه العملية[1].

وعلى ضوء تعريفنا لعملية الاتصال وعناصرها التي حددناها في الفصل السابق[2] يمكننا دراسة الاتصال في تراثنا العربي. ولا يتوقع الدارس للاتصال في التراث العربي أن يجد هذه العناصر بأسمائها تلك، ولا يتوقع الدارس كذلك أن يجدها مضمومة في سفر واحد أو لدى كاتب واحد ، فدراسة الاتصال تحتاج إلى مثابرة في دراسة التراث العربي، إذ أن عناصره مبثوثة في تضاعيف كتب الأدب واللغة والبلاغة والفقه والتاريخ والفلسفة وعلم الكلام والمعارف العامة.

ولا غرو أن الدارس العربي وهو يحاول دراسة الاتصال في التراث العربي يدرسه وبين جوانحه مشاعر التعاطف التي من الصعب أن تفصله عن تحيز لا مفر منه، ولكن دراسة الاتصال في التراث العربي بشكل علمي تستلزم ثلاثة شروط لا غنى عنها:

1. فهم للتراث وقدرة على جلاء نصوصه والغوص في معانيها.
2. فهم لنظريات الاتصال في الغرب ومتابعتها في مصادرها.
3. موضوعية في تناول الاتصال في التراث العربي.

قراءة في الأدبيات:

منذ العقد السابع من القرن العشرين بدأت الدراسات الإعلامية تهتم اهتماما بارزاً بالاتصال في التراث العربي والإسلامي ... واشتملت الأدبيات الإعلامية على دراسات تحاول أن تؤصل الدراسات الإعلامية بردها إلى أصول دينية أو تراثية وهذه الدراسات تقع تحت شريحتين:

أولاً: شريحة تحاول أن تربط الإعلام المعاصر بالأصول التراثية أو الأصول الدينية، وهي بهذا لا تفرق بين الإعلام كنشاط إنساني بحت، وهو نتاج لوسائل الاتصال الجماهيري المعروفة بوسائل الإعلام Mass Media، وبين الاتصال وهو نشاط عام أشمل من الإعلام، إذ يشتمل ضمن ما يشتمله الاتصال غير اللفظي.

وهذه الدراسات في خلطها هذا جعلت الإعلام مساويا للاتصال حينا ومساويا للدعوة حينا آخر. ولم تفرق بين الاتصال كنشاط إنساني وبين القرآن الكريم كرسالة إلهية للبشر. وعلى الرغم من أن باحثاً إعلامياً كبيراً يتبنى مفهوم الإعلامي الغربي التالي حيث يقول:

"الإعلام بالمعنى الحديث – هو تزويد الناس بالأخبار الصحيحة، والمعلومات السليمة والحقائق الثابتة التي تساعدهم على تكوين رأي صائب في واقعة من الوقائع أو مشكلة من المشكلات بحيث يعبر هذا الرأي تعبيراً موضوعياً عن عقلية الجماهير واتجاهاتهم وميولهم "[3] إلا أنه في بداية كتابه يقول الدين الإسلامي دين إعلامي بطبيعته .. وهذا يتنافى مع التعريف الذي جاء به للإعلام، لأن الإسلام رسالة سماوية جاءت لتعبر عن طبيعة الجمهور واتجاهاته وميوله ولتغيرها أيضاً ... والكاتب نفسه يعود مرة أخرى ليؤكد بأن "القرآن الكريم يعبر عن الفكرة الإعلامية الواجبة في التعريف بالإسلام وبيان مزاياه الكريمة بلفظ آخر بديل عن الإعلام وهو الدعوة ".[4]

وكان يمكن الخروج من مأزق اقحام مصطلح الإعلام باستخدام مصطلح الدعوة الإسلامي وهو أكثر أصالة ودلالة.

وكان من الممكن كذلك للخروج من مأزق استخدام مصطلح الإعلامي استخدام مصطلح الاتصال ليشمل كافة أشكال الاتصال التي عرفها العرب قديما مثل الشعر والخطابة والمناظرات والقصة.

ووقع في هذا المأزق د. عبد اللطيف حمزة في كتاب الإعلام في صدر الإسلام[5] وهو رائد في هذا المجال، وكذلك تبعه العديد من الكتاب الذين كتبوا حول هذا الموضوع.

ثانياً: بعض الدراسات التي ربطت بين الاتصال والبلاغة، وهذا الاتجاه يتسم بالعملية في المعالجة، ولعل أفضل ما كتب في هذا الاتجاه كتاب د. محمد خفاجي و د. عبد العزيز شرف نحو بلاغة جديدة، وخاصة في الباب الثاني منه (ص–ص: 45 – 82) إلا أن الكتاب لم يتحر الدقة في إصدار الأحكام، إذا اعتبر الكتاب أن الدلالة اللغوية العربية للبلاغة هي المقابل لما نسميه اليوم بعلم الاتصال. وكذلك اقرار المؤلفين بأن ابن وهب الكاتب في كتابه البرهان في وجوه البيان هو واضع التصنيف العلمي الرباعي للاتصال، وذلك أمر يتجاهل أن ما قدمه الجاحظ في كتاب البيان والتبين هو الأساس الذي بنى ابن وهب عليه كتابه الموسوم بـ البرهان في وجوه البيان.[6]

وإذا أردنا أن ندرس الاتصال في التراث العربي فأننا سوف ندرس ما يتعلق بتوصيل الرسالة إلى المتلقين، وهذا يشتمل على ما أسماه البعض –كالجاحظ وابن وهب – بالبيان، أو دراسة ما أسماه آخرون بالبلاغة مثل أبي هلال العسكري وعبد القاهر الجرجاني، كذلك دراسة ما أسماه البعض الآخر بالفصاحة مثل ابن سنان الخفاجي.

ولا شك في أن دراسة الاتصال في التراث تستلزم منا استدعاء مفهوم التراث، الذي حددناه سابقاً وهو:

"(التراث هنا يشتمل على كل ما ينجزه الإنسان من خلال تجاربه في سياقه المجتمعي سواء كانت تلك المنجزات فكرية أو مادية، وهذه المنجزات تنتقل وتورث عبر الأجيال في كل مجتمع من المجتمعات، بحيث تصبح هذه الموروثات هي مكونات وجودها الثقافي وأساس تمايز المجتمعات ").

وهذا التعريف يعني أن لكل أمة تراثها الذي يميزها عن غيرها، وذلك بناء على تجربتها التاريخية الخاصة. ولذلك يمكننا الحديث عن تراث عربي وتراث هندي، وتراث فرنسي ... إلخ. ويعني هذا التعريف كل المنجزات التي حققها جميع الناس المنتمين إلى حضارة وثقافة أمة ما، بغض النظر عن أصولهم ومنابتهم وأماكن ولادتهم. فابن سنان والجاحظ وابن خلدون وابن المقفع والهمذاني وغيرهم يتساوون في انتمائهم إلى الثقافة والحضارة العربية والإسلامية، ومنجزاتهم هي جزء من التراث العربي الإسلامي.

وهذا التعريف وتضميناته ضروري ونحن بصدد الحديث عن الاتصال في التراث العربي، لأن أمامنا مسؤولية التعرض لدراسة الاتصال في القرآن الكريم –كلمات الله العليم – وما يتبعها من مسؤولية في فهم جوانبه الاتصالية وهي ترتبط بجوانب الدعوة الإسلامية. ولذا فإن هذا التعريف يستثني ما هو غير إنساني، ويعتبر أن القرآن الكريم –كتاب الله عز وجل – لا يمكن أن يعتبر تراثا لأنه إلاهي وغير خاضع للمقاييس البشرية التي تنطبق على التراث باعتبار أنه منجز بشري.

وفي الحقيقة أن الذين أدرجوا دراسة القرآن الكريم اتصاليا و / أو إعلاميا وقعوا في مأزق إخضاع ما هو غير بشري لمقاييس بشرية. وقاد الخلط بين مفهومي الإعلام والاتصال إلى معالجات غير دقيقة لما اصطلح عليه البعض باسم الإعلام الإسلامي:

ولنا أن نعجب لقول باحث وهو يحدد مفهوم الإعلامي الإسلامي حيث يقول:

"يتحدد مفهوم الإعلام الإسلامي من خلال التعريف المحدد للإعلام الذي أعده العلامة الألماني اتوجروت هو:

"التعبير الموضوعي عن عقلية الجماهير واتجاهاتهم وميولهم في نفس الوقت وذلك عن طريق تزويد هذه الجماهير بالحقائق والمعلومات الصحيحة والثابتة والأخبار الصادقة التي تساعدهم على تكوين رأي عام صائب في واقعة من الوقائع أو حادثة من الحوادث أو مشكلة من المشكلات".[7]

فكيف يمكن أن يتحدد مفهوم الإعلام الإسلامي بناء على تعريف علامة ألماني ليس له علامة بالإسلام؟ أيجب أن يخضع الإعلام الإسلامي إلى معايير غربية؟ أم يجب أن يكون تعريفه نابعاً من مبادئ الدين وتعاليمه ونصوصه إذا أريد له الخصوصية؟ وكذلك أليس من الواجب أن يضع الباحث التعريف ويحدد مفهومه من خلال فهم واع لخصوصية الإعلام الإسلامي وميزاته؟

ولا نجافي الحقيقة إذا قلنا أن هناك خلطاً في استخدام المصطلحات التي استخدمت للتعبير عن الاتصال – سواء كان الاتصال في التراث أو الاتصال القرآني أو الاتصال الإسلامي – إذ تم استخدام مصطلحات الإعلام الإسلامي والاتصال والدعوة دون التفريق بينها.

ومع أن النية المخلصة لدى الكتاب الذين تناولوا موضوع الإعلام الإسلامي هي المحرك لهم لدراسة هذا الموضوع العام، إلا أن دراساتهم قد وقعت – برغم نيتهم المخلصة – في محاذير أساسية: أولاً : الخلط في استخدام المصطلحات، فلم يتم التفريق بين الاتصال القرآني والدعوة من جانب، والإعلام من جانب آخر، ولذا فقط أطلق عليه اسم الإعلام الإسلامي أو الإعلام في القرآن.

وكذلك لم يتم التمييز بين أشكال الاتصال في التراث من شعر وخطابة ورسائل ومناظرات وغيرها، والاتصال الديني مثل الخطابة الدينية والاتصال الشخصي بهدف الدعوة، فقد لجأ بعض الكتاب إلى اطلاق مصطلح الإعلام الإسلامي على كل ذلك.

وهكذا نجد د. عبد القادر حاتم يساوي بين الدعوة والإعلام[9] على الرغم مما بين الاثنين من اختلاف في الجوهر. فبينما نتفق جميعاً على أن الدعوة تحمل في جوهرها الحق والصدق والموضوعية، فإن الإعلام لا يعبر بالضرورة عن الحق، وقد يحمل في طياته الكذب والذاتية، وهذه سمات نعاني منها ونحن نتابع الإعلام الغربي والعربي – على حد سواء – وذلك أمر طبيعي لأن الإعلام هو نشاط إنساني يعبر عن مصالح وأهداف وآراء مختلفة.

ونجد الباحث يطلق مصطلح الإعلام القرآني، على الرغم مما تحمله كلمة الإعلام من تضمينات أحياناً تكون سلبية. وكان الأجدر بالكاتب أن يستخدم مصطلح الاتصال القرآني للتعبير عن مهمة التبليغية في توصيل الرسالة الإلهية. إلا أن مصطلح الاتصال – وهو الأشمل كما أشرنا سابقاً – اصطلاح مشوش لدى هذا الباحث، لأنه لا يفرق بين مصطلح الاتصال ومصطلح الاتصال الجماهيري، وبينما المصطلح الأول يعبر عن نشاط عام متنوع، عرف منذ عرفت الخليقة على هذه الأرض، فإن المصطلح الثاني هو تعبير عن جانب من هذه الظاهرة، ارتبطت حديثا باختراع وسائل الاتصال الجماهيري، وازدهار الصحافة والإذاعة والتلفزيون والسينما، ولذا فإن خصائص الاتصال الجماهير مرتبطة إلى حد كبير بإمكانيات وسائل الإعلام الجماهيري، ولهذا فإن حصر الكاتب لوسائل الاتصال الجماهيري المعاصر بخمسة أنواع من الوسائل، وادراج الوسائل الشخصية فيها، يؤدي إلى خلط المفاهيم، إذ أن الوسائل الشخصية ليست نوعاً من وسائل الاتصال الجماهيري، بل هي نوع من الاتصال وهو الذي تدخل ضمنه الدعوة التي حملها الرسل والأنبياء إلى الخلق، ويدخل ضمنه اتصال الإنساني بالطير أو الحيوان ونحن نعلم من قرآننا الكريم أن سيدنا سليمان كان يعرف لغة الطير، قال تعالى:

"وورث سليمان داود وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كلّ شيء أن هذا لهو الفضل المبين"[11] ويشمل كذلك الاتصال الإنساني مع ذاته، وذلك ما أسماه ابن وهب بيان الاعتبار إذ يقول: "إن الأشياء تبين بذواتها لمن تبين، وتعبر معانيها لمن اعتبر وأن بعض بيانها ظاهر ، وبعضه باطن".

كما يشمل أحدث أنواع الاتصال وهو اتصال الإنسان بالآلة مثل الكمبيوتر والانترنت.

ولا بد من الإشارة إلى أن الكثيرين ممكن كتبوا في موضوع الإعلام الإسلامي قد خلطوا بين الاتصال القرآني وبين أشكال الاتصال في التراث العربي، ولذا فإننا نجد بعضهم أدرجوا الشعر في صدر الإسلام والعصر الأموي باعتباره إعلاماً إسلامياً، على الرغم مما في مضامينه من تفاوت، ويمكن الرجوع في هذا الصدد إلى العديد من الذين كتبوا في هذا الاتجاه مثل د. عبد اللطيف حمزة و د. إبراهيم إمام وغيرهما . وهناك من جعل كلمة الإعلام – وهي مصطلح علمي ذات دلالة لها أبعادها الراسخة – مرادفة للتبليغ مثلما كان ذلك عند د. محمد عجاج الخطيب ومن ثم فإن حديثه عن الإعلام كان مقصوداً به هذا المصطلح، وهو التبليغ والذي يعني عمليا التبليغ ونشر الدعوة .[12]

أما الكاتب رمضان لاوند فإنه في كتابه من قضايا الإعلام في القرآن يؤكد – مصيبا في ذلك – أن الإعلام له صفة العلم الحقيقي والفن، يرى: "خلاصة القول أن للإعلام قوانينه الشبيهة بقوانين العلوم الحقيقية وقواعدها، يضاف إلى ما سبق أن الإعلام الناجح يحتاج إلى معرفة عميقة بقوانين المجتمعات البشرية وحقائق النفس الإنسان. فكلما زادت معرفة الإعلامي بهذه الحقائق وتلك القوانين زاد إتقانه لعمله الإعلامي، لكن الإعلام ي الوقت نفسه متصل بالمواهب الفنية، فليس كل دارس لقواعد اللغة وقوانين الموسيقى والتصوير والنحت والشعر والنثر وغيرها من أنواع الأداء الإعلامي يجب أن يكون بالضرورة إعلامياً ناجحاً".[13]

ويقع الكاتب في مأزق المقارنة إذ يحاول أن يعقد مقارنات بين هذا العلم – وهو إنساني – وبين ما أسماه بالإعلامي القرآني وهو إلهي ... وهكذا نجده بعد أن يعدد أنشطة الإعلام المعاصرة مثل الدعاية والتعليم والإعلان والعلاقات العامة، يتساءل أين مكان الإعلام القرآني من هذه الأنشطة التي تدخل ضمن مفهومات الإعلام العام ؟

ويجيب بأن الإعلام القرآني نابع من عقيدة الوحدانية وأن المقياس الوحيد الذي يعمل به الإعلام القرآني هو إنسانية الإنسان المتمثلة في عبوديتها المطلقة للخالق عز وجل، ولذا فإنه إعلام موضوعي يتصف الصدق ويصدر عن الحق[14]. وكان حريّ بالباحث أن يبتعد تماما عن أي شكل من أشكال المقارنة بين الإعلام بمفاهيمه المعاصرة وهو إنساني، والاتصال القرآني لأنه إلهي، ومن ثم فإن هذا الاتصال الإلهي له قوانينه ورسالته وأسلوبه المعجز، الذي يجب أن ينأى عن المقارنة بقوانين خارجه عنه.

وينساق البعض في حسن نواياهم ليدفعوا إلى محاولة تطبيق بعض مقاييس الخبر الصحفي وأنواع المقدمات في الأخبار على القرآن الكريم كما حاول أن يفعل ذلك د. محمد فريد عزت في كتابه دراسات في فن التحرير الصحفي في ضوء معالم قرآنية، وذلك من خلال ما أوضحه من هدف دراسته وهو:

"الاستفادة بما في القرآن الكريم من معالم مضيئة، والاسترشاد بها لوضع أسس إسلامية لبعض الجوانب والمفاهيم في فن التحرير الصحفي، والتي سبق لها القرآن الكريم بأكثر من ثلاثة عشر قرناً من الزمان ... فإن أحدث ما وصل إليه الكثير من جوانب في التحرير الصحفي هو النسق الذي سار عليه السرد في القرآن ".[15]

وقد بذل المؤلف في كتابه جهداً عظيماً في استقصاء بعض الجوانب والمفاهيم في فن التحرير الصحفي في القرآن الكريم، وانصب هذا الجهد –كما أشرنا في ملاحظاتنا السابقة – على إبراز إعجاز القرآن من خلال إيضاح اشتمال القرآن على عناصر من فن التحرير الصحفي ، وهو مجال يقال فيه الكثير.

ويظل إعجاز القرآن مبهماً، ليس لأنه يشتمل على مقدمات الأخبار كما عرفت في التحرير الصحفي، وليس لأنه يشتمل في معالمه على الأسئلة الستة، ذلك لأنه كتاب سماوي، وإعجازه يفوق هذه المعايير الإنسانية التي ترتبط بالخبر الصحفي. وكان من الأجدر أن يدرس الباحث البلاغة القرآنية والإعجاز القرآني ثم يقدم من خلالهما مقاييس اتصالية تبين لنا سبل الإعجاز الاتصالي في القرآن، ليس على سبيل المقارنة بقوانين التحرير الصحفي.

وكذلك يقوم د. سيد الشنقيطي بدراسة تحليلية لنصوص الأخبار في سورة الأنعام وهو في دراسته بعد أن يفرق بين الخبر والنبأ يعمد إلى دراسة وظيفة الأخبار في سورة الأنعام وذلك في ثلاثة أبواب هي الأخبار عن الله ، والأخبار عن عالم الغيب والأخبار عن عالم الشهادة[16]، والكاتب في دراسته المعنونة مفاهيم إعلامية من القرآن الكريم ، يؤكد أنه:

"من خلال ما قدمت لك من شواهد في هذه القضية تستطيع أن تجزم بأنه لا مجال للمقارنة بين جوهر الإعلام في الصورة التي تعارف عليها دارسوه، والصورة التي يمكن استخلاصها من القرآن الكريم لأن مواجهة الأحداث وعرضها عرضاً صادقاً نزيهاً وأمنياً لا يحابي ولا يداهن من لدن عليم خبير بحقائق الأشياء وخصائصها لا تخفي عليه خافية".[17]

ونرى أن دراسة القرآن الكريم يجب أن تظل لها خصوصيتها ولذا فإن ما أشار إليه بجوهر الإعلام في الصورة التي تعارف عليها دارسوه، يجب ألا تطبق مقاييسه على القرآن الكريم. وذلك تحاشياً لأن تصبح دراسة القرآن جزءاً من علم الإعلام كما يمكن أن يتوهم البعض، ولتبقى دراسته في جوانبه الاتصالية جزءاً من علوم القرآن، لا من علم الإعلام.

وهنا يبرز التساؤل التالي: هل يمكن دراسة عرض الأحداث التاريخية في كتب التاريخ بناء على مقاييس الخبر الصحفي كما فعل د. محمد فريد عزت ، وكما فعل د. سيد الشنقيطي؟ ولماذا نجعل فن التحرير الصحفي وكأنه نهاية الفن والعلم الذي تخضع لمقاييسه كل العلوم !؟

وعلى الرغم من أن أمينة الصاوي و د. عبد العزيز شرف في كتاب نظرية الإعلام في الدعوة الإسلامية وفي كتاب السيرة النبوية والإعلام الإسلامي الذي يشاركهما في تأليفه د. محمد عبد المنعم خفاجي، على الرغم من أنهم يفرقون بين الإعلام والاتصال، إلا أنهم لا يلتزمون بهذا التفريق ويخلطون كثيراً في تطبيقه، مما يجعل الإعلام والاتصال عندهم – في أحيان كثيرة – شيئاً واحداً. وهذا ما أوقعهم في شرك تطبيق مصطلح الإعلام الإسلامي على كل أنواع الاتصال. وتم ذلك عند حديثهم عن الإعلام في المجتمع العربي القديم. وعلى سبيل المثال فإن هذا الخلط جعلهم يعتبرون آداب السلام "اتصالاً" هي آداب الإعلام[18] واعتبروا الأعياد والأسفار والرحلات وسائل إعلام !؟ وكذلك يتحدثون عن تفسير الأدب على أساس إعلامي يقوم على أساس نظرية الاتصال ؟[19] ولماذا لم يكن تفسيره على أساس نظرية الاتصال؟ ولماذا يتحدثون عن عملية الاتصال ووظائفها ثم يقررون بعد ذلك أن : " هذه الوظائف الإعلامية الجوهرية ظلت مستمرة في كل العصور ... ".[20]

وفي كتاب منهج الإعلامي الإسلامي في صلح الحديبية للدكتور سليم عبد الله حجازي نجده يطلق مصطلح الإعلام على الاتصال حينا، ويطلقه على الدعوة حينا آخر إذ أنه يرى:

"الإعلام كما هو معلوم، قد رافق الخليقة منذ نشأتها، ولكنه لم يكن مصنفا من حيث هو علم له قواعده وقوانينه ونظرياته المتعددة، كما هو عليه الحال في أيامنا هذه .."[21]

ويطلق مصطلح النشاط الإعلامي بديلاً للدعوة حين يقول:

"هذا، ولقد كان من ثمرات هدنة الحديبية بأن تمكن المسلمون من توسيع دائرة نشاطهم الإعلامي، مما أدى إلى زيادة عدد الداخلين في الإسلام أضعافاً مضاعفة عما كانوا عليه قبل الحديبية ".[22]

ونحن نعلم أن مصطلح الدعوة هو المصطلح الاتصالي النقي الذي يعبر عن نشر الإسلام بهدف دخول الناس فيه.

وهو يستخدم نفس المصطلح للحديث عن الإعلام الشفهي والإعلامي التحريري بديلاً عن استخدام مصطلح الاتصال.

إذن كيف ندرس الاتصال في التراث؟

من خلال عرضنا السابق ومناقشتنا لبعض الدراسات التي تمثل اتجاهات عديدة في دراسة الإعلام فإننا نرى ما يلي:

1. أنه يجب التفريق بين مفاهيم الاتصال والإعلام والدعوة والاتصال القرآني مما يؤدي إلى مباحث متميزة.

فالاتصال ظاهرة عامة تشمل الاتصال القرآني والاتصال الجماهيري والاتصال الشخصي والجمعي وتشمل الإعلام والدعوة والدعاية والإعلان والعلاقات العامة. والإعلام هو الظاهرة الاتصالية الإنسانية المرتبطة بوسائل الإعلام الجماهيرية، الذي ترسخت قواعده لتشكل علما له أصوله ونظرياته ذات الطابع الإنساني التي يصلح بعضها لأن يعمم على المجتمع البشري كله، ولبعضها الآخر خصوصياتها التي ترتبط ببيئاتها الاجتماعية المحددة.

ومن ثم فإن قواعد علم الإعلام يمكن أن تطبق وأن يستفاد منها في أي رسالة إعلامية، وهكذا نجد أن ما يكسب الإعلام خصوصيته هو مضامين الإعلام وأهدافه. إذ أن الإعلام في كل المجتمعات – مهما اختلفت الأهداف- يمكن أن يستخدم نفس الوسائل من صحافة وإذاعة مسموعة أو مرئية وسينما وكتاب وغيرها، ويمكنه أن يفيد من نظريات تأثير وسائل الإعلام لتحقيق اتصال ناجح. ولكن ما يجعل الإعلام إعلاماً إسلامياً – على سبيل المثال – هو مضمون الرسالة التي يحملها وليس لأن هناك علم لإعلام إسلامي، وإن كان هذا لا ينفي أن تكون هناك خصوصية للرسالة الإعلامية الإسلامية تميزها عن غيرها.

2. يرتبط الاتصال القرآني ارتباطاً مباشراً بالقرآن الكريم، ومن ثم فهو اتصال منزه معجز، ولا يجوز أن يخضع للدلالة على إعجازه بربطه بمعايير إنسانية، فهو اتصال إلهي له خصائصه التي لا تداني، والتي يجب ألا تدرس بناء على المعايير الإعلامية – الظاهرة الإنسانية – فلا يجوز أن يخضع القرآن الكريم إلى معايير الخبر الصحفي، ولا أن يخضع إلى معايير مقدمات الخبر .. هذه المعايير الغربية المرتبطة بصناعة الخبر وما فيها من إثارة ، تحتمل الصدق والكذب والتلوين.

بل أن الواجب أن تدرس جوانب الاتصال في القرآن، ومن خلال دراستنا لإعجازه، ومن خلال هذه الدراسة يستفاد في وضع أسس الاتصال الإنساني.

3. إذا كان الإعلام نتاجاً إنسانياً مرتبطاً بوسائل الإعلام الجماهيري فإنه يجدر الإشارة إلى أن الحديث عن الإعلام الإسلامي يصبح مشروعاً ومبرراً، ما دامت هناك رسالة إسلامية تنقلها الوسيلة الإعلامية، فالإعلام الإسلامي موجود، وتتمثل صورته بالتعبير عن المضامين الإسلامية التي تنقلها وسائل الإعلام وهي في توجهها الديني يجب أن تتمثل في صورتين:

أ. إعلام إسلامي: يشتمل على رسائل تعبر عن مفهوم الدين وتشرح معانيه وأبعاده، لخدمة المجتمع الإسلامي.

ب. إعلام إسلامي: لا يرتبط بشرح أبعاد الدين بأسلوب مباشر، ولكن رسائله مبنية ومنسجمة مع تعاليم الدين الإسلامي وقيمه سواء أكانت هذه الرسائل تمثيليات أم أفلاماً، أم كتباً أم صحافة.

ويفيد هذان النوعان من وسال الإعلام ويوظفان ما هو متاح منها كالصحافة والإذاعة المسموعة والمرئية والكتب والأشرطة والسينما وغيرها. وكذلك توظف كل الأشكال الفنية الإعلامية المعروفة من مقال صحفي وتعليق وتحقيق إلى تمثيلية وأغنية وفيلم وغيرها. كما يوظف هذا الإعلام النظريات الإعلامية التي ثبت صحتها، بهدف تحقيق أعلى درجات الفعالية والتأثير للرسالة ذات المضمون الإسلامي.

4. إن الدعوة نشاط اتصالي يهدف إلى تبليغ الرسالة الإلهية إلى البشر، وهي نشاط في أغلبه يتوجه إلى غير المسلمين، وهذا النشاط الاتصالي يحتاج إلى استخدام وسائل الاتصال الجماهيري ووسائل الاتصال الشخصي، ويجب أن يوفر كل أشكال الاتصال الممكنة، مع الإفادة من أسلوب القرآن الكريم في عرض الرسالة، ومن أسلوب الداعية محمد صلى الله عليه وسلم في التبليغ والدعوة.

5. أن الاتصال في التراث العربي ظاهرة إنسانية، لقيت عند العرب عناية خاصة، ونبعت هذه العناية من عناية العرب بلغتهم – لغة القرآن الكريم – فكانت هناك الدراسات التي درست إعجاز القرآن الكريم ، وأساليب البيان والبلاغة.

وتعددت وسال الاتصال لديهم فكان الشعر أهم وسائلهم الاتصالية إذ اعتبره البعض الصحفية السيارة.[23] وكذلك الخطابة والرسائل والتوقيعات والمناظرات، كما استخدمت الأسواق الأدبية لتكون مسرحاً للاتصال الجمعي، واستخدمت المساجد كذلك للدعوة الدينية والدعاية السياسية والتعليم. واستخدمت المجالس للمناظرات، وقام الكتاب العرب بدراسة أنواع الاتصال أو

ما أسموه بالبيان، كما فعل الجاحظ وابن وهب الكاتب ودرسوا شروط الرسالة الناجحة، وشروط المتصل الناجح، وتناولوا كذلك أهمية مراعاة الجمهور وظروف تلقي الرسالة وإرسالها.

إن هذه المرتكزات الخمسة لفهم جوانب الاتصال أساسية لدراسة الاتصال في التراث العربي، ولدراسة الاتصال القرآني ولدراسة الإعلام الإسلامي ولدراسة الدعوة.

ولهذا فإن دراسة هذه الأنواع الاتصالية تفتح المجال أمام دراسات تشمل على سبيل المثال – ما يلي:

أ. الاتصال القرآني:

- أساليب الاقناع في القرآن
- أساليب البلاغة القرآنية في عرض الرسالة وتوصيلها.

ب. مجال اتصال الدعوة:

- دور محمد صلى الله عليه وسلم الداعية.
- دور المسجد في الاتصال
- فن الاقناع في مجال الدعوة
- الظروف الملائمة للدعوة
- رسائل الرسول صلى الله عليه وسلم للدعوة إلى الإسلام
- دراسة سبل انتشار الإسلام الاتصالية وخصوصاً في إفريقيا
- استخدام الوسائل التعبيرية المتاحة للدعوة 0 الشعر، الخطابة، والمناظرات والرسائل).

ج. في مجال الإعلام الإسلامي:

يجب أن ينطلق العمل في مجال الإعلام الإسلامي من نقطتي بدء:

أولاً: الإعلام هو فن وعلم، ومن ثم فإن الإفادة من أسس هذا الفن وعلمه ضرورية لإرساء إعلام إسلامي ناجح.

وكما يرى د.محمود محمد سفر (1982، 48) أنه:

"لعل البداية الصحيحة للبحث عن منطلقات إسلامية للإعلام المعاصر للأمة، أن نعترف في أساسياته ومفاهيمه ونظرياته على العلوم الاجتاعية الأخرى فيتداخل بعلوم النفس والاجتماع والاقتصاد والعلوم السياسية وغيرها".[24]

وهذا يعني أنه لا بد من الاعتراف بوجود علم للإعلام له شروطه وأسسه ونظرياته. وكي يصبح هاك إعلام إسلامي فإن هذا الإعلام يعتمد على:

أ. الاعتراف بالإعلام كعلم والإفادة من إمكانياته وتطويعه وملاءمته لخصوصية البيئة والمجتمع والعقائد التي يعبر عنها.

ب. وجود منطلقات ومضامين إسلامية ينبني عليها هذا الإعلاتم تكسبه خصوصية وتعطيه صفة الإسلامية.

وهكذا فإن منطلقات الإعلام – المتمثلة برسائله – هي التي تعطي هذا الإعلام خصوصيته. لذا فإن الحديث عن إعلام إسلامي، يمكن أن يقابله إعلام مسيحي كما يوجد إعلام صهيوني، وإعلام شيوعي، والذي يعطي كل إعلام خصوصيته من خلال المنطلقات التي تحملها رسائله.

ثانياً: إن وسائل الإعلام الحديثة هي وسائل محايدة من إذاعة وتلفزيون وإنترنت وغيرها، ومن ثم فإن تكنولوجيا الاتصال تأخذ شكلاً محايداً لمجرد أنها وسائل تنقل الرسائل. وهكذا فإن استخدامها يصبح ضرورة لما تملكه من إمكانيات هائلة في توصيل الرسائل، واستخدامها يتطلب الإفادة مما أسماه د. محمد سفر[25] بعلم الإعلام المكتمل الأصول والمتطور الوسائل والذي يصبح مجتمعنا لا غنى له عن هذا لاعلم، ومما يستدعي استنباط إعلام فعال ذي غاية إسلامية.

ولذا فإن دراسة الإعلام الإسلامي يجب أن تخضع في جانب منها لعلم الإعلام، وفي جانب آخر يجب أن ترتبط دراسته بعناصر الاتصال في التراث العربي.

د. في مجال الاتصال في التراث العربي:

- دراسة الاتصال كما جاء في كتب التراث تحت عناوين البيان، والبلاغة والفصاحة.

- دراسة للمرسل: وذلك يتمثل في كتابات القدامى مثل رسالة بشر بن المعتمر، والرسالة العذراء لابن المدبر، ورسالة عبدالحميد الكاتب إلى الكتاب، ودراسة الشروط اللازمة للكتاب والخطباء كما جاءت في كتب الأدب والبلاغة والمعارف العامة.

- دراسة للرسالة: وذلك يتمثل بشروط الرسالة الناجحة وشروط بلاغتها وعيوبها.

- دراسة لأسلايب الرسالة (القوالب الفنية): ووظائفها مثل الشعر، والخطابة والكتابة والمناظرات.

- دراسة لجمهور المتلقين: كما نظر إليها الدارسون القدامى من حيث نوعيتهم ومستوياتهم.

- دراسة لعوامل التشويش: التي تؤثر على العملية الاتصالية مثل النطق والسمع ونوع الورق والحبر وغيرها.

- دراسة للوسائل المتسخدمة في التوصيل: مثل الاهتمام بأنواع الخط والحبر والورق وتأثيرها على العملية الاتصالية. وهي موازية للدراسات المرتبطة الآن بالاخراج والانقرائية في وسائل الإعلام المكتوبة.

- دراسة لأنواع معينة من الاتصال: مثل الاتصال السياسي والاتصال عبر الثقافات والاتصال الدولي والاتصال التنظيمي في التراث.

- دراسة لفن الخطابة: من حيث مقوماتها وشروط نجاحها وسبل الاقناع المستخدمة فيها.

- دراسة لفن الاقناع: من خلال دراسة المناظرات والمقابسات والجدل، وعرض الحجج في التراث الديني والفلسفي وعلم الكلام.

- دراسة لطرق انتشار الأخبار في المجتمع: ودور الدواوين والبريد في ذلك.

- دراسة لتأثير المناخ والجغفرافيا والمظاهر المادية في العملية الاتصالية.

- دراسة لطرق توصيل المعاني:

أ. استخدام اللغة.

ب. استخدام الحركة والاشارة.

جـ. استخدام الصوت.

د. استخدام المواد البصرية.

- دراسة لوظائف الاتصال الأساسية في المجتمع:
- نقل التراث الثقافي للمجتمع.
- التعليم.
- الأخبار.
- الترفيه وأنواعه في المجتمع، مثل القصص والغناء الموسيقى وخيال الظل..
- دراسة مميزات الوسائل التصالية التقليدية: (الاتصال الشفوي والمكتوب)
- دراسة لأشكال الاتصال في الأسواق الأدبية مثل سوق عكاظ في العصر الجاهلي وسوق المربد ودراسة الأندية الأدبية، وخاصة تلك التي عرفت في العصر العباسي في بلاطات الخلفاء والوزراء وغيرهم، ودراسة للاتصال في المجالس العامة.[26]
- دراسة فن البلاغة العربية باعتبارها تقنينا لفن الاتصال العربي الناجح، والافادة منها في وضع أسس لبلاغة اتصالية معاصرة، وخاصة في مجال الإعلام.
- دراسة شروط انتقاء الحدث التاريخي في كتب التاريخ ومواصفات هذه الأحداث ومقارنتها بشروط الخبر (على أن يتم التعامل مع الأحداث التاريخية كأحداث وليست أخباراً صحفية).

وهنا يجدر بنا أن نشير إلى بعض المصادر الأساسية التي يمكن الإفادة منها في دراسة الاتصال في التراث العربي:

كتب التراث التالية مرتبة بناء على الموضوعات، وتم ترتيبها تاريخياً حسب وفاة المؤلفين:

أ- كتب البلاغة والأدب واللغة:

- البيان والتبيين – الجاحظ (255 هـ)
- الحيوان – الجاحظ (255 هـ)
- رسائل الجاحظ (255 هـ)
- الرسالة العذراء (في كتاب رسائل البلغاء) لابن المدبر (270 هـ)
- عيون الأخبار – ابن قتيبة (276 هـ)
- أدب الكاتب – ابن قتيبة (276 هـ)
- الكامل في اللغة والأدب – المبرد (285 هـ)

- أدب الكاتب – المبرد (285 هـ)
- العقد الفريد – ابن عبد ربه (328 هـ)
- البرهان في وجوه البيان – ابن وهب الكاتب (335 هـ)
- الأغاني – أبو فرج الأصفهاني (356 هـ)
- الخصائص – ابن جني (392 هـ)
- الصناعتين – أبو هلال العسكري (395 هـ)
- الامتاع والمؤانسة – أبو حيان التوحيدي (414 هـ)
- زهير الآداب – أبو اسحق الحصري (453 هـ)
- العمدة في صناعة الشعر ونقده – ابن رشيق القيرواني (456 هـ)
- بهجة المجالس وأنس المجالس – ابن عبد البر (462 هـ)
- سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي (466 هـ)
- أسرار البلاغة – عبدالقاهر الجرجاني (471 هـ)
- دلائل الاعجاز – عبدالقاهر الجرجاني (471 هـ)
- قانون البلاغة – أبو طاهر محمد بن حيدر البغدادي (517 هـ)
- الاقتضاب في شرح أدب الكتاب – أبو محمد البطليوسي (521 هـ)
- مفتاح العلوم – السكاكي (626 هـ)
- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر – ابن الأثير (630 هـ)
- تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر – ابن أبي الأصبع المصري (654 هـ)
- مناهج البلغاء – حازم القرطاجني (684 هـ)
- نهاية الأرب في فنون الأدب – النويري (733 هـ)
- الإيضاح في علوم البلاغة – الخطيب القزويني (739 هـ)
- الطراز – يحيى بن حمزة العلوي اليمني (745 هـ)
- المقدمة – ابن خلدون (808 هـ)
- صبح الأعشى في كتابة الأنشا – القلقشندي (821 هـ)
- المستطرف في كل فن مستظرف – الأبشيهي (850 هـ)

- خزانة الأدب ولب ألباب لسان العرب – عبدالقادر البغدادي (1093 هـ)

ب– كتب التاريخ:

- فتوح البلدان – أحمد بن يحي البلاذري (279 هـ)
- الأخبار الطوال – الدنيوري (282 هـ)
- تاريخ الرسل والملوك – الطبري (310 هـ)
- مروج الذهب ومعادن الجوهر – المسعودي (346 هـ)
- الكامل في التاريخ – ابن الاثير (630 هـ)
- كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر – ابن خلدون (808 هـ)

ج– كتب الرحلات:

- رحلة ابن جبير – ابن جبير (614 هـ)
- تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الأسفار – ابن بطوطة(779 هـ)

د– علوم القرآن والحديث والفلسفة وعلم الكلام والفقه والتصوف:

- الخطابة – الفارابي (339 هـ)
- شرح العبارة – الفارابي (339 هـ)
- كتاب – الحروف – الفارابي (339 هـ)
- كتاب الفصوص – الفارابي (339 هـ)
- إحصاء العلوم – الفارابي (339 هـ)
- آراء أهل المدينة الفاضلة – الفارابي (339 هـ)
- ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرماني (386 هـ) والخطابي (388 هـ) والجرجاني (471 هـ)
- كتاب المواقف والمخاطبات – محمد بن عبدالجبار النفري (354 هـ)
- كتاب الشفاء – ابن سينا (428 هـ)

- الإحكام في أصول الأحكام – ابن حزم (456 هـ)
- المستصفى من علم الأصول – الغزالي (505 هـ)
- نهاية الإقدام في علم الكلام – الشهر ستاني (548 هـ)
- غاية المرام في علم الكلام – سيف الدين الامدي (631 هـ)
- محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار – ابن عربي (638 هـ)
- إعجاز القرآن – ابن أبي الاصبع المصري (654 هـ)
- الإتقان في علوم القرآن – السيوطي (911 هـ)
- كتاب الصمت وآداب الكلام – أبو بكر ابن ابي الدنيا البغدادي (986 هـ)

هـ– كتب الترويج (الترفيه):

- ألف ليلة وليلة
- البخلاء – الجاحظ (255 هـ)
- الحكايات العجيبة والأخبار الغريبة – محمد الجهشياري (331 هـ)
- مقامات بديع الزمان الهمذاني (381هـ)
- الجليس والأنيس – المعاني بن زكريا النهرواني (390 هـ)
- لطف التدبير – الخطيب الإسكافي (421 هـ)
- لطائف المعارف – أبو منصور الثعالبي (429 هـ)
- أخبار الحمقى والمغفلين – ابن الجوزي (504 هـ)
- مقامات الحريري (516 هـ)

هذه القائمة ليست شاملة وهي مجرد عناوين تشكل نقطة بدء لمن يرغب في دراسة الاتصال في التراث العربي.

ولعل الدارس الذي لا تربطه صلة قوية بكتب التراث يجد له عوناً في دراسة الاتصال – عن طريق غير مباشر – في مراجع حديثة هذا بالإضافة إل الكتب التي صدرت وتتناول الإعلام الإسلامي في القرآن، وقد تناولنا العديد منها في هذه الدراسة.

مثل الكتب التالية:

- أسواق العرب – سعيد الأفغاني.
- تاريخ الشعر السياسي – أحمد الشايب.
- الخطابة العربية في عصرها الذهبي – د. إحسان النص.
- عبدالحميد الكاتب وما تبقى من رسائله – د. إحسان عباس.
- رسائل ابن حزم الأندلسي – د. إحسان عباس.
- الدعوة العباسية مبادئ وأساليب – د. حسين عطوان.
- وسائل الاقناع عند الغزالي – محمد ياسر شرف.
- جمهرة خطب العرب – أحمد زكي صفوت.
- جمهرة رسائل العرب – أحمد زكي صفوت.
- الخطابة في صدر الإسلام – د. محمد طاهر درويش.
- طبيعة الدعوة العباسية – د. فاروق عمر.
- أهل الإسلام – لويس غارديه.
- تمثيليات خيال الظل – د. علي ابراهيم أبو زيد.
- التفكير البلاغي عند العرب – حمادي صمود.
- الدعوة إلى الإسلام – توماس أرنولد.
- فن الخطابة – د. أحمد محمد الحوفي.
- فن الخطابة – د. احمد محمد الحوفي.
- أدب السياسة في صدر الإسلام – د. أحمد الحوفي.
- تاريخ الأدب العربي – د. بلاشير.
- الخطاطة: الكتابة العربية – د. عبدالعزيز الدالي.
- السفارة السياسية وآدابها في العصر الجاهلي – محمد علي دقة.
- السفارات النبوية – محمود شيت خطاب.
- تاريخ الجدل – الإمام محمد أبو زهرة.
- الأندية الأدبية في العصر العباسي – علي محمد هاشم.

- النص البلاغي في التراث العربي والأوروبي – د. أحمد درويش.
- التعبير البياني: رؤية بلاغية نقدية – د. شفيع السيد.
- تكوين الكتاب العربي – د. فرانسوا زبال.

الهوامش

1. د. صالح أبو أصبع: الاتصال والاعلام في المجتمعات المعاصرة – ط 3 (عمّان دار آرام للدراسات والنشر والتوزيع: 1999) انظر الفصل الأول ص 12 وما بعدها.
2. انظر المصدر نفسه.
3. د. ابراهيم امام: الإعلام الإسلامي: المرحلة الشفوية (لاقاهرة – مكتبة الانجلو 1980) – 2 .27
4. المصدر نفسه.
5. د. عبداللطيف حمزة: الإعلام في صدر الإسلام (القاهرة – دار الفكر العربي 1978).
6. د. محمد عبدالمنعم خفاجي و د. عبدالمعزيز شرف – نحو بلاغة جديدة (القاهرة مكتبة غريب 1980).
7. د. محي الدين عبدالحليم: الإعلام الإسلامي وتطبيقاته العملية (القاهرة – مكتبة الخانجي – ط 2 – 1984) ص .144
8. د. عبدالقادر حاتم: الإعلام في القرآن الكريم (القاهرة: مطابع الأهرام التجارية 1985).
9. المصدر نفسه: ص .36
10. القرآن الكريم: صورة النمل، الآية .16
11. ابن وهب الكاتب: تحقيق د. أحمد مطلوب و د. خديجة الحديثي: البرهان في وجوه البيان (بغداد – 1967)، ص .73
12. د. محمد عجاج الخطيب: أضواء على الإعلام في صدر الإسلام، (بيروت – مؤسسة الرسالة 1985)، ص-ص 12-.13
13. رمضان لاوند: من قضايا الإعلام في القرآن، (الكويت: مطابع الهدف .د.ت) ص-ص 11-.12
14. المصدر نفسه: ص-ص 261-.265
15. د. محمد فريد محمود عزت: دراسات في فن التحرير الصحفي في ضوء معالم قرآنية، (جدة: دار الشروق – 1984) ص-ص 6-.7
16. د. سيد محمد ساداتي الشنقيطي: أصول الإعلام الإسلامي وأسسه – جـ 1 (الرياض: دار عالم الكتب للنشر والتوزيع – 1986)، ص-ص 15-.21
17. د. سيد محمد ساداتي الشنقيطي: مفاهيم إعلامية من القرآن الكريم – (الرياض: دار عالم الكتب للنشر والتوزيع – 1986)، ص .37
18. أمينة الصاوي و د. عبدالعزيز شرف: (نظرية الإعلام في الدعوة الإسلامية). (القاهرة: مكتبة مصر – 1985)، ص-ص 37-.39

19. أمينة الصاوي و د. عبدالعزيز شرف: و د. محمد عبدالمنعم خفاجي: (السيرة النبوية والإعلام الإسلامي)، (القاهرة: مكتبة مصر د.ت) ص .16

20. المصدر نفسه: ص .19

21. سليم عبدالله حجازي: منهج الإعلام الإسلامي في صلح الحديبية: (جدة – دار المنارة 1986)، ص-ص 7-.8

22. المصدر نفسه: ص .11

23. د. أحمد الشايب: تاريخ الشعر السياسي (القاهرة: د.ت) ص-ص 40-.41

24. د. محمود محمد سفر: الإعلام موقف (جدة: تهامة 1981)، ص .48

25. المصدر نفسه: ص .64

26. انظر علي محمد هاشم: الأندية الأدبية في العصر العباسي في العراق، (بيروت: دار الآفاق الجديدة، 1982).

الفصل الثاني

"مصداقية الكلمة
في الثقافة العربية وصلتها بالإعلام"

* من أبحاث المؤتمر 18 للاتحاد العام للأدباء والكتاب العرب.

عمان – الأردن 12-9-كانون الثاني 1992.

قدم هذا البحث تحت عنوان :

((الكلمة والمصداقية عربياً بين ثوابت الثقافة **ومتغيرات الإعلام**))

الفصل الثاني

"مصداقية الكلمة
في الثقافة العربية وصلتها بالإعلام"

الفصل الثاني

"مصداقية الكلمة
في الثقافة العربية وصلتها بالإعلام"

مدخل:

إن عنوان البحث "الكلمة والمصداقية عربياً بين ثوابت الثقافة ومتغيرات الإعلام"* يثير ثنائيات تحتاج إلى دراسة وتفسح المجال للمقارنة بينها. هناك مصداقية الكلمة وهاك كذبها وتزييفها، وهناك ثوابت الثقافة وهناك متغيراتها، وهناك ثوابت الإعلام وهناك متغيراته أيضاً.

ومن أجل وضع منهجية تتسق مع طبيعة هذا الموضوع فإن الدراسة ستنتهج ما يلي:

1. تحديد المفاهيم موضع الدراسة.
2. تحديد ثوابت الثقافة ومتغيراتها.
3. تحديد ثوابت الإعلام ومتغيراته.
4. دراسة العلاقة بين الثقافة والإعلام.
5. تأثير الثقافة والإعلام على مصداقية الكلمة.
6. خاتمة.

أولاً: المفاهيم:

1/1 الكلمة:

يقول الباحث اللغوي د. تمام حسّان في كتاب "اللغة العربية معناها ومبناها" عند تفريقه بين الكلام واللغة أن الكلام "معايير تراعى وميادين حركة ووسيلة حياة في المجتمع فهي عمل وسلوك ونشاط وحركة وهو يحس بالسمع نطقاً وبالبصر كتابة، فالكلام هو المنطوق وهو المكتوب.[1] وبناء عليه فإن الكلمة التي نعنيها هنا هي كل رسالة منطوقة أو مكتوبة يتاح نشرها للجمهور عبر وسائل الإعلام الجماهيرية وهذا يشكل كل ما تنشره وسائل الإعلام المقروءة من صحف ومجلات وكتب ونشرات وغيرها ويشمل كذلك ما يتم بثه عبر وسائل الاتصال المسموعة أو المسموعة المرئية كالإذاعة والتلفزيون والسينما.

2/1 معنى المصداقية:

تعني هنا التزام الكلمة بالصدق في التعبير عن الحقيقة.

وهناك ثلاثة أنواع من الكلمات التي تنقلها إلينا وسائل الإعلام وهي: الكلمة الإبداعية والكلمة العلمية والكلمة الإعلامية.

- الكلمة الإبداعية مثقلة بالمشاعر وبالخيال.
- والكلمة العلمية هي كلمة العقل والواقع.
- والكلمة الإعلامية هي مزيج من المشاعر والعقل، مزيج من الخيال والواقع ولكل منها مصداقيتها الخاصة.

2/1/ الكلمة الإبداعية والمصداقية:

تعرض تراثنا العربي منذ القرن الرابع الهجري لقضية الصدق والكذب في العمل الإبداعي، تعددت مواقف النقاد في هذه القضية ويلخص د. إحسان عباس هذه المواقف بقوله: باينت مواقف النقاد كثيراً حول هذه القضية فمنهم من ربط الشعر

الحق بالصدق ونفى عنه الكذب ومنهم من جعل الكذب سبباً لرفض الشعر ومنهم من وقف حائراً ازاءها لا يدري ماذا يقول ومنهم من اشتقّ طريقاً وسطاً".[2]
وليس هنا مجال لاستعراض تاريخي لآراء النقاد العرب القدامى حول قضية الصدق والكذب في الشعر ويمكن الاحالة إلى ابن طباطبا في كتابه "عيار الشعر" وعبدالقاهر الجرجاني في "أسرار البلاغة" وقدامة بن جعفر في "نقد الشعر" والمرزوقي في "شرح العمدة" وابن بسام الشنتريني في "الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة" حازم القرطاجني في "منهاج البلغاء وسراج الأدباء" وغيرهم.
ونجد أن قضية الصدق قد لقيت عناية خاصة في أدبنا المعاصر وها نحن نجد ناقداً يخصص كتاباً كاملاً لدراسة قضية الصدق في الأدب ففي كتابه "وظيفة الأدب بين الالتزام الفني والانفصام الجمالي" يقوم الدكتور محمد النويهي بدراسة مسالة الالتزام وتعلقها بالصدق وهو يجد الصدق الذي يطلبه في الأدب بقوله:
"إننا نعني أن يصدق الأديب في التعبير عن عاطفته التي أحس بها فعلاً، وإعلان عقيدته التي اعتقدها ولسنا نعني به أن يكون نقلاً حرفياً للواقع الخارجي في كل حذافيره (...) فالأديب ليس وظيفته أن يسجل الواقع كما هو في وجوده الموضوعي المستقل بل وظيفته – وسر أهميته العظمى – أن يصور عاطفة الإنسان نحو هذا الواقع ونظرته الخاصة الشخصية إليه، وموقفه منه، ورد فعله عليه.
فنحن نتطلب الصدق في الأدب لأننا نريد من الأدب أن يكون تصويراً أميناً لحقيقة عاطفة الإنسان نحو الوجود وسلوكه الحقيقي في تجارب حياته المختلفة حتى نستطيع أن نفهم تلك العاطفة ونقدر ذلك السلوك فهماً وتقديراً صحيحين عميقين. الأدب الذي يصور لنا عواطف الإنسان على غير ما تحدث فعلاً،

والذي يصور السلوك الإنساني على غير ما يكون في تجارب الحياة يعطينا صورة مشوهة خاطئة..."[3]

فالصدق الذي يرمي إليه النويهي هنا صدق يرتبط بطبيعة الأدب الذي يعتمد في جزء كبير منه على العاطفة، وهو يكاد يقصر فهمه للصدق بصدق العاطفة والتصوير الأمين لها.

وأما الدكتور محمد زكي عشماوي فو يفرق بين الصدق في الحقيقة العلمية والصدق في الحقيقة الأدبية، إلا أنه يخطو خطوة أكثر نحو توكيد مفهوم الصدق في الحقيقة الفنية حيث يقول:

"وإذا كان الصدق في الحقيقة العلمية مرده إلا مالها من واقعية يؤكدها المنطقق وتثبتها التجربة العلمية، فإن الصدق في الحقيقة الفنية مرده إلى مدى ما يكون من تواؤم واستجابة بين التجربة التي تتضمنها قطعة من الأدب وبين ما يحدث أوم يقع للإنسان من تجارب واقعية بالعقل أو ممكنة الوقوع..."[4]

ولا شك أن التجربة الأدبية ليست تجربة عاطفية بحتة. إنها مجموعة معقدة من التجارب العاطفي والعقلية والعلمية، ولذا فإن التجربة الأدبية – الإبداعية نتاج لهذه التجارب المركبة وتعبير عنها بأسلوب يلعب الخيال فيه دوراً أساسياً.

إننا ندرك تماماً أن تحديد المصداقية يعاني من تحديد ما هي الحقيقة. ويعاني كذلك من تلك القضية القديمة الجديدة وهي الصدق في الأعمال الأدبية والفنية، وبين الصدق الفني والصدق الواقعي تظل الأزمة قائمة في الشعر الذي يمتاز بعاطفيته وخياله، وأما القصة والرواية والمسرحية فإنها تحمل رؤى فنية لأحداث مختلفة، ليست هي الحقيقة، ولكنها تعبير عنها، إنها تحمل معها صدقها الفني وليس صدقها الواقعي.

3/1 الثقافة:

مصطلح الثقافة من المصطلحات التي تحمل دلالات تتصف بالعمومية حيناً وبالخصوصية حينا آخر، وبين الدلالات الانثربولوجية الاجتماعية للثقافة والدلالات الأدبية للمصطلح صلة وثيقة.

وقد لاحظ باحث عربي أن مفهوم الثقافة يخرج بمعان ثلاثة أساسية: معنى لغوي، آخر فكري، وثالث اجتماعي.[5]

والمعنى اللغوي: معنى معجمي لا حاجة هنا للخوض فيه.

تبنى د. مصطفى حجازي تعريف تايلور Taylor للثقاف بمفهومها الاجتماعي الواسع وهو أكثر التعريفات شيوعاً في الدراسات الانثربولوجية، وهذا التعريف يرى أن الثقافة "هي تلك المجموعة المركبة التي تتضمن المعارف والمعتقدات والفن والحق والأخلاق والأعراف وكل الاستعدادات والعادات الأخرى التي يكتسبها الإنسان باعتباره عضواً في المجتمع."[6]

ويخلص حجازي إلى أن الثقافة هي: "..... مجمل ما يقدمه المجتمع لأبنائه من عادات وقيم وأساليب سلوك وتوجهات وعلاقات وأدوار وتقنيات كي يتعلموها ويتكيفوا معها، فهي نمط معيشة للجماعة لا أكثر ولا أقل. إنها طريقة ائتلاف هذه العناصر معاً كي تكون كلاً يعطي للجماعة طابعها المميز، وكياناً من أساليب السلوك والعلاقة والتعبير. ومع أن المقومات الأساسية للثقافة متقاربة في مختلف المجتمعات إلا أن هناك أختلافاً في التآلف يعطي بنى مختلفة ومتفاوتة في درجة تعقيدها، وهو ما يميز ثقافة عن أخرى.[7]

إن هذا التعقيد في عناصر الثقافة هو الذي يجعل فهمنا لها لا ينحصر بالعادات القيم والسلوك بل يتعداها إلى المؤسسات الاجتماعية التي تنبثق عنها تلك القيم

والعلاقات، وتجعل دراستا لثقافة أشمل لتستوعب دراسة المؤسسات التي توجه السلوك الإنساني والأنشطة الأخرى كاللغة والإبداع.

وكما يرى الباحثان هيرسكوفتز Herskovits ورفيقه باسكوم Bascom "أن الثقافة لا تضم فحسب المؤسسات الاجتماعية وأشكال السلوك المكتسب التي تنبثق منها، بل تضم أيضاً تلك المظاهر من قو الإنسان الخلاقة التي تمكن الفنان من انتاج شيء جديد متميز ينفرد في انتاجه ضمن نطاق الأشكال والأنماط التي تعتبر جزءاً من تقاليده، وتمكن الفيلسوف أو الكاهن من التوفيق بين التناقضات الظاهرية في المعتقدات الدينية، تمكن الراوي من الاهتداء إلى نقطة تحول جديدة في موضوع أحدى القصص المألوفة، وهي التي تمكن المخترع من ادخال تغييراتتكنولوجية تستند إلى معارف سابقة. ولا تقتصر الثقافة على المؤسسات التي تتحكم في ردود فعل الإنسان تجاه زملائه في المجتمع، وإنما تتناول أيضاً أوجه السلوك الإنساني الخارجة عن نطاق المؤسسات كاللغة، والعلاقة بين اللغة والسلوك، والعلاقة بين الشخصية والثقافة، ونظام القيم الذي منح دلالته لطرق السلوك المقبولة عند أي شعب من الشعوب."[8]

تضع رؤية الباحثين هيرسكوفتز وباسكون عناصر أساسية للمفهوم الفكري للثقافة مثل الإبداع واللغة ونظام القيم والعقيدة كجزء أساسي من الثقافة من خلال التفاعل بين العناصر المختلفة – كما يرى د. عبدالله عبدالدائم – وذلك لأن الثقافة تضم جوانب حضارية تتصل باللغة والفكر والعقيدة التشريع والقانون والأدب والفن والعلم التقنية، ولذا فإنه حدد الثقافة بأنها "جملة السمات والملامح الخاصة التي تميز مجتمعاً معينً أو مزرة اجتماعية معينة سواء كانت روحية أو مادية، فكرية أو عاطفية."[9]

ولقد شاعت رؤية للثقافة أكثر تحديداً وأكثر ارتباطاً بمفهوم التنمية الفكرية واكتساب المعارف والآداب والفنون، وترقية القدرة على التذوق والمعرفة الشاملة.

ويرى حجازي أن المفهوم الفكري للثقافة هو "…. اكتساب المعارف التي تنمي الحس النقدي والذوق والحكم. وقد تتخصص الثقافة من خلال اكتساب معرفة متعمقة في مجال معين كالفلسفة والأدب، أو الفنون والعلوم على اختلافها أو هي تتخذ معنى عاماً يدل على المعرفة خارج نطاق الاختصاص وفي المجالات الفكرية المختلفة تعتبر ضرورية لكل إنسان مستنير، مما يتيح له التتعامل مع قضايا الإنسان عمرها درجة متقدمة من الانفتاح والاستيعاب والشمول ويشكل الاكتساب المعيار للثقافة الفكرية وذلك في مقابل الذكاء الفطري وقد يتم هذا الاكتساب من خلال عملية تربية منظمة تؤدي إليه".[10]

ولا مندوحة في القول بأن المعنى الفكري للثقافة يكتسب معاني عديدية تضيق إلى أن تصبح لدى البعض رديفاً للآداب والفنون، مميزة هذين الجانبين من الإبداع الإنساني عن باقي العلوم.

وهذا ما حدا بباحث عربي إلى إعلان نقده للرؤى المختلفة في تعريف الثقافة والذي يرى أن الاختلاف جاء للسببين التاليين:

1) اطلاق الثقافة كصفة لظواهر وسيرورات (Processes) مختلفة ومتفاوتة بل ومتناقضة أحياناً لتمييز ميادين ذهنية ومادية مختلفة (ثقافة سياسية / ثقافة بدنية) أو لتمييز سلوك أو خصوصيات قومية، أو لتحديد مكانة اجتماعية (مثقف / أمي) أو لوصف مواقع سياسية (تقدمية / رجعية).

2) استخدام الثقافة للتعبير عن آليات ووظائف اجتماعية فمنهم من يعتبرها بنية فوقيةتتبع بنية تحتية تحدد لها وظائفها أو هناك من يعتبرها بنية أساسية تخضع لها جميع البنى الأخرى.[11]

ولذا فإن برهان غليون يرى أن المشكلة تظهر في تحديد موضوع الثقافة إذ يقول في هذا الجانب "هل هو نظام القيم المعايير الذي ينظم حياة الجماعة ويتحكم

بسلوك أفرادها وبسلوكها الجماعي واستمراريتها أم هو الإنتاج الفكري للهيئة المثقفة من علماء وأدباء وفنانين، والذي هو يشكل مرآة صادقة أو كاذبة، لحياة المجتمع بكل ما تعنيه كلمة مرآة من سلبية، فالثقافة تعني بالمفهوم الأول القاعدة الأساسية التي تقوم بضبط المجتمع لبيئته وتاريخه وسيطرته عليهما أي في الواقع تعامله سلباً أو إيجاباً معهما وتصبح بالتالي مصدر المدنية وعلتها. وتعني بالمفهوم الثاني المتعة التي يحصل عليها الإنسان من الثقافة استهلاك الإنتاج الثقافي فالنظرة الأولى ترى في الثقافة مجموعة قواعد، وترى فيها الثانية جملة منتوجات ومواضيع استهلاك".[12]

من خلال هذا يمكن فهم الشروط التي تؤدي إلى انبثاق قيم معينة لجماعة ما، وتخلق لديها حقل دلالات خاصة روحية وعقلية تصوغ من خلالها الأسئلة والاجابات التي تسمح بالتكيف مع البيئة وتسيّر بها وتاريخها وتخلق لها معاييرها التي تميز الوعي والسلوك. وهكذا فإن الثقافة هي مظهر للوعي الذي من خلاله يفهم الإنسان العالم، وهي استجابة لواقع موضوعي قائم خارج ذهن الإنسان.[13]

"ويتوصل غليون إلى تعريف الثقافة باعتبارها جملة الأنماط (القيم والقواعد والأعراف والتقاليد والخطط ... إلخ) التي تبدع وتنظم لدى جماعة ما حقل الدلالات (العقلية الروحية والحسية) وتحدد بالتالي لدى هذه الجماعة أسلوب استخدامها لإمكانياتها (البشرية والمادية) ونوعية استملاكها لبيئتها".[14]

فالكلمة حسب هذا التعريف تدخل ضمن حقل الدلالات ومن هنا فإن الصلة لا انفصام فيها بين الكلمة والثقافة.

4/1 وسائل الإعلام:

نعني بوسائل الإعلام هنا:
"الوسائل التي بها تتم عملية الاتصال الجماهيري المتميزة بالمقدرة على توصيل الرسائل، في نفسا للحظة، وبسرعة إلى جمهور عريض متباين الاتجاهات والمستويات، ومع قدرتها على نقل الأخبار، والمعلومات، والترفيه، والآراء، والقيم، والمقدرة على خلق رأي عام وتنمية اتجاهات وأنماط من السلوك غير موجودة لدى الجمهور وهذه الوسائل هي الصحافة والإذاعة والتلفزيون والسينما والكتاب والتسجيلات المسموعة والمرئية."[15]
ولا غرو أن يقوم المؤتمر العالمي بشأن السياسات الثقافية الذي دعت إليه اليونسكو عام 1982 بالمكسيك بتحديد الصلة بين الإعلام والثقافة كما يلي:
"الاتصال هو أحد العناصر المكونة للثقافة لأنه مصدر تكوينها وعامل من عوامل اكتسابها وثرائها وإنه يساعد على التعبير عنها ونشرها"[16].

ثانياً: ثوابت الثقافة:

في التقرير النهائي للخطة الشاملة للثقاف العربية التي وضعته المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم عام 1986 تتبنى هذه الخطة مفهوم الثقافة باعتبرها "مجموع النشاط الفكري والفني بمعناها الواسع مع ما يتصل بهما من مهارات ووسائل. وتدرج الخطة تحت عنوان الثقافة الاهتمام بالمجالات التالية: التراث الشعبي، طراز العمارة، الفن الإسلامي، المتاحف والآثار، اللغة العربية، الخط العربي، المخطوطات، الفنون التشكيلية، الموسيقى، الفنون الشعبية، الآداب، أدب الأطفال، وسائل الإعلام المكتوبة والمسموعة والمرئية، ثقافة الشباب، وثقافة المرأة، وثقافة المعوقين."[17]

وهذه الخطة تربط بين الهوية العربية والثقافة إذ "أن الثقافة في هذا المنظور ترتبط الهوية العربية حيث تمثل روح الأمة وأصالتها من ناحية كما ترتبط بالمستقبل نظراً لدورها في التنمية الشاملة، ووظيفتها في صناعة المجتمع وصوغ ملامحه وهويته وتماسكه من ناحية ثانية، فهي تشكل إذاً ركن البناء الحضاري وأساس تماسك الأمة. تغرس جذورها في التراث الروحي والمثل العليا للأمة وتنبت فروعها في طموحاتها المستقبلية وما تتخذه لنفسها من أهداف إنسانية وهي تربط الماضي بالحاضر والمستقبل صانعة بذلك الهوية المميزة للأمة العربية في انفتاحها العالمي.[18]

وفي تقرير اللجنة الفرعية حول السياسات الثقافية لمؤتمر الوزراء المسؤولين عن الشؤون الثقافية في الون العربي عام 1981، أشارت إلى عناصر ثوابت الثقافة عندما تحدثت عن الهوية الثقافية العربية حيث توصلت إلى أن:

"الهوية الثقافية للأمة العربية إنما هي حالة ذاتية خاصة ترتبط بمقومات وجودها وإن اللغة العربية هي العامل الأساسية المحرك لهذه الذاتية وشرط حصانتها وديمومتها أيضاً (...) إن الذاكرة الثقافية للأمة إنما هي حصيلة تجارب الإنسان العربي ومشاركته الحضارية عبر التاريخ، وما قام به الشعب العربي من إنتاج وإبداع وتفكير عبر الزمن وما يحتاج إليه في تثبيت واقعه الثقافي من حضارة عربية إسلامية ما زالت قائمة (...) فإن الدول الاستعمارية ما زالت وبالرغم من خروجها من الأرض العربية تعمل على استلاب الثقافة وتفكيك الذاتية الثقافية العربية وتدفع المواطن إلى الاغتراب الثقافي في بلاده ساعية إلى تمرير الثقافة الاستهلاكية بشكل دائم وغير مباشر (....) بالإضافة إلى الغزو الصهيوني المباشر والشرس للأمة العربية ولثقافتها محاولاً تخريب هذه الثقافة وتحطيم مقوماتها"[19].

1/2 الذاتية الثقافية والدفاع عنها:

إن تميز كل مجتمع من المجتمعات بمجموعة من الخصائص هو الأساس في تشكيل الذاتية الثقافية، وتبرز أهمية الدفاع عن الذاتي الثقافية في عصر يمتلك وسائل اتصال الكترونية أحالت العالم إلى "قرية عالمية" حسب تعبير مارشال مكلوهان[20]. ومع امتلاك الغرب لتقنية الاتصال وتصنيعه للأجهزة وانتاجه للمعلومات وتفوقه العلمي والتكنولوجي فإن سيطرته على المعلومات في هذا العصر اصبحت طاغية وأضحى النموذج الثقافي الغربي نموذجاً يفرض نفسه كاختيار وحيد أمام الثقافات الإنسانية وأصبح التساؤل المطروح أين موقع الثقافة العربي أمام مزاحمة الثقافة الغربية!؟

إن سمات الثقافة العربية تطرح لنا إجابة التساؤل فتاريخ الثقافة العربية يؤكد على أن إحدى سماتها الانفتاح على الثقافات الأخرى والتفاعل معها مع الاحتفاظ بخصوصيتها وهذا يعني أن الذاتية الثقافية تقبل التغيير دون أن تقع في حضن التغريب، وهو يعني أيضاً التواصل بين التراث والمعاصرة ولا شك أن اللغة العربية تشكل عنصراً أساسياً في نقل الثقافة وتشكيلها واستمرارها وهي لغة غنية قادرة على التطور وعلى استيعاب العصر ومبتكراته وتلعب وسائل الإعلام دوراً أساسياً في حماية الذاتية الثقافية.

خصائص الثقافة العربية ووظائفها ومبادئها:

قبل أكثر من ثلاثين سنة وبالتحديد عام 1959 وقف باحث عربي وهو الدكتور عبدالهادي هاشم ليحاضر تحت عنوان "نحو ثقافة عربية أصيلة"[21] وفي هذه المحاضرة حدد ملامح الثقافة العربي الموروثة ثم حدد الأسس التي يجب أن تقوم عليها ثقافتنا المستقبلية متسمة بالأصالة والإبداع والخير وهذه الأسس هي:

1. الإيمان بأمتنا ورسالتها وإمكاناتها طاقاتها المدخرة الموروثة الأصيلة.

2. الإيمان بالتقدم وتحقيق المستقبل الزاهر يستلزم العزم والجهد والدأب.
3. الثقافة ترتبط بواقع الأمة وآلامها وآمالها وتعبر عنها.
4. الثقافة حق للجميع لن تقام السدود في وجه أي مواطن.
5. ثقافة المستقبل تنهل من الثقافة المغايرة حيث يتصل المستقبل بالماضي والغابر بالآتي.
6. الخق الصافي الكريم الذي عرفنا به في الماضي هو معيار السلوك ويعدل الجامح من غرائزنا.
7. الثقافة العربية ستسعى إلى تحرير الإنسان من عبودية المال وسيطرة الآلة وستهدف إلى تحرير الإنسان من الخوف والقلق والجوع والمرض والجهل.
8. ستسعى الثقافة العربية إلى تنمية الذوق، وتصقل الشعور وتدعم الفن المبدع.
9. ستعنى الثقافة العربية بالمادة وعلم المادة ولن تكون روحاً كلها وستقر للآلة والمادة حقهما لتفيد الروح منهما.
10. الثقافة العربية ستكون منطلقة منفتحة تأخذ القصي تفيد وتستفيد.
11. تسعى الثقافة العربية إلى خلق الثقافة الإنسانية الكاملة التي تسمو عن حدود الأقوام والأعراق الثقافية التي تهيئ للبشر كلهم حياة أفضل.

إن جملة هذه العناصر تشكل عناصر أساسية لثوابت الثقافة العربية وهي في طياتها تحمل جوانب التغير فنحن حينما نؤمن بالتقدم وبأن الثقافة هي ثقافة المستقبل فإن هذا يعني من جانب إيماناً بقيمة أساسية تحمل في كنفها روح التغيير المستمر للثقافة العربية.

وفـي التقريـر النهـائي لخطـة الثقافـة العربيـة الشـاملة تحديـد لخصـائص الثقافة العربية وهذه الخصائص تبرز مجموعة من الثوابت التي تكاد تلتقي مع العناصر السالفة وهي تتمثل فيما يلي:-

1. عراقة الثقافة العربية التي تطورت عبر ألوف السنين.
2. ارتكازها على مجموعة من القيم الإنسانية مثل الحق والعدل والمساواة الكرامة واحترام المعرفة.
3. اتسامها بالشمول في جميع المظاهر من آداب وعلوم وفنون وعمران.
4. مقدرتها علـى التفاعل مـع الثقافات الأخـرى دون فقدانها لأصـالتها وتميزها مما جعل لها بعداً عالمياً.
5. تمتلك اللغة العربية كوسيلة تعبير واتصـال، لديها المقدرة على النمو واستيعاب المستحدثات في مجالات التقنية والفنون والعلوم.

وترتكز وظائف الثقافة القومية في تحقيق أهداف الأمة العربية التي تتمثل فيما يلي:

- الاستقلال في مواجهة الهيمنة والاستعمار.
- الوحدة في مقابل التجزئة.
- العدالة في مواجهة الاستبداد.
- العدالة في مواجهة الاستغلال.
- التنمية في مواجهة التخلف.
- الأصالة في مواجهة التبعية والتغريب.
- الحضور القومي بين الأمم.
- تجاوز الانقسام بين فريق يخاصم الماضي وفريق يخاصم المستقبل.

وبناء على الخطة الشاملة لثقافة العربية، فإن المبادئ الرئيسة التالية هي التي تحقق وظائف الثقافة وهي:

- حق العربي في اكتساب الثقافة والتعبير عنها باعتباره غاية كل تنمية.
- شمولية عملية التخطيط للتنمية حيث تشكل الثقافة ركناً أساسياً فيها، ذلك أن التطوير الاقتصادي والاجتماعي لا يتم إلا بالتخطيط الثقافي الذي يحدد الأهداف المستقبلية للأمة.
- يشكل التراث الحضاري العربي الإسلامي الركن الأساس في الثقافة العربية.
- بما أن الثقافة هي الزاد الفكري الروحي للجميع فلا بد لها من أن تكون ديمقراطية وجماهيرية انتاجاً واستهلاكاً.
- قومية الثقافة ووحدتها عربياً كإطار يعطي الخصوصيات القطرية كل غناها.
- دينامية الأصالة والمعاصرة، الخصوصية العربية والانفتاح العالمي.
- مسؤولية المؤسسات الرسمية الشعبية في التخطيط الثقافي الشامل وفي ترجمة هذه الخطط إلى برامج منفذة فعلياً".[22]

2/2 الثقافة والتغير:

إن التعير من الصفات اللازمة لكل الثقافات، وفي عصرنا الحالي عصر الاتصالات وانفتاح الثقافة على بعضها أصبح التغير أكثر وضوحاً وأسرع حدوثاً لقد كان للاستعمار دوره الكبير في التأثير على دول العالم الثالث التي رضخت للاستعمار عقوداً طويلة وهذا ما أدى إلى أشكال من التغيير والتبدل والتحلل في بعض الثقافات التي أصيبت بأخطار تهدد هويتها الثقافية. وباتت الثقافات

التقليدية محاصرة إزاء ثقافات المستعمرين والثقافات الوافدة ومن هنا باتت وسائل الإعلام تلعب دوراً رئيسياً في التأثير على الثقافات الوطنية.

ويتحدث أمانويل بوشيا دامس عن التجربة الآسيوية في هذا المجال بكلمات تكاد تنطبق على ثقافات العالم الثالث إذ يقول "ويحس الجميع في الوقت الحاضر بالحاجة إلى تكوين هوية وطنية وتثبيتها نسبة إليهم وللعالم ويتجهون عامة، للتعبير عن هذه الحاجة نحو ثقافتهم التقليدية ليستمدوا منها الالهام والعون ولا يجهلون بالتأكيد أنه من غير المعقول العودة بالزمن إلى عهد ذهبي نعموا به في القرون الماضية وما يريدونه فعلاً هو تشييد مجتمع يتوافق مع نظام قيمهم الخاص، وتراثهم الثقافي الأصيل وملاءمة هذا النظام والتراث مع الظروف الحالية.

وهم يعون في هذا الصدد المخاطر التي ترافق التقنية الجديدة ووسائل الإعلام الواسعة التي توشك بطريقة مأأن تؤدي إلى تفكيك أساليب الحياة والتفكير التي تجسد الطابع الوطني لكن النتيجة الأشد خطورة كانت في حصر الثقافة بالتسلية كما كان جارياً في الدول الغربية.[1]

وإذا كانت الثقافة على حد تعبير هيرسكوفتز وباسكوم تتناول طريقة حياة الشعب وسلوكه التقليدي بمعناه الواسع الذي يضم أفكاره وتصرفاته وأشغاله اليدوية والتي تتخذ نمطاً معيناً يصبح السلوك في المجتمع ليس اعتباطياً أو عشوائياً، ولكن كذلك لا يكون صارماً بلا معرفة إذ يختلف من فرد إلى فرد ومن وقت إلى آخر.[23]

ولعل أهم ما يميز البشر عن سائر المخلوقات هو الثقافة إذ أن الإنسان هو "الوحيد الذي يستعمل اللغة، ويصنع الأدوات، وهو الوحيد الذي يؤمن بالأديان ويمارس الفنون والأوجه الأخرى من النشاط الثقافي".[24]

بالعلم يتم اكتساب الثقافة وما يتم اكتسابه بالعلم يمكن أن يتم تعديله نتيجة زيادة التعلم وهذا يعني أن أي ثقافة من الثقافات هي عرضة للتغير، وتزداد إمكانيات التغير كلما اتصلت هذه الثقافة وأبعادها قابلة للتغير كلية أو الإستبدال فالمعتقدات والقيم السائدة في ثقافة ما يبقى فيها ما يحفظ تماسك مجتمع ما ويحول دون ذوبانه في ثقافة أخرى جديدة أو وافدة.

إن من أهم خصائص الثقافة أنها عملية Process وأنها متفاعلة (Interactive) وأنها من صناعة الإنسان في مجتمعه، والإنسان يصبح أيضاً من صنعة الثقافة في مجتمعه والثقافة مجموعة من التراكيب المتفاعلة، يدخل في بنيتها التكنولوجيا واللغة والتركيب الاجتماعي والتركيب المعتقدي والديني والتركيب الجمالي وهذه التراكيب متفاعلة داخل المجتمع الواحد ومتفاعلة في علاقاتها بالمجتمعات الأخرى.[25]

هذه الرؤية تعني أنه على الرغم من وجود ثوابت في كل ثقافة إلا أن هذه الثقافة عملية وهي في حالة تغير، تأثيراً وتأثراً وهي تحتاج للحافظ على استمرارية لعناصر ثقافتها التقليدية، ولذا فإن البلدان المهددة ثقافتها بطغيان الثقافة الأجنبية عليها "أن تجد معاً وكل فيما خصه، وسيلة ادخال هذا الجهاز الذهبي وهذه المادة الضرورية للتنمية وهي التنمية الحديثة، في استمرارية ثقافية تمنع الانفصال عن الماضي وليس هذا الأمر سهلاً ولا يمكن حفظ جديدة تكملها وتحافظ على خصائص الشخصية الثقافية القديمة ودمجها بالحضارة العملية والتقنية التي ستغزو العالم بالتأكيد وبهذا يمكن لآسيا أن تؤدي خدمة للعالم أجمع، وليس مستبعداً أن تؤثر بعض تركيباتها على الدولة الصناعية وخاصة بصرفها عن بعض المبالغات التي يتم ادراكها في الوقت الحاضر"[26] ولكل مجتمع ثقافته بما تمتلكه من خصوصية.

وإذا كانت الثقافة تمتلك من بين عناصرها موروثات ثقافية من جيل إلى جيل إلا أن هذا لا يعني أن الثقافة ماهية ثابتة تعبر عن طبيعة لصيقة لا تتغير، فكما يرى برهان غليون: "أن الثقافة لا تعيش بمعزل عن السياق التاريخي والاجتماعي الذي تولد فيه وتتطور وتتبدل في قيمها وفي آليات استجاباتها أيضاً وإنما تشكل نظاماً تحكمه قواعد محددة، ويخضع كغيره من النظم المجتمعية إلى التغير والتطور والموت.

وليست المعايير والمنظومات العقلية والروحية التي تنشأ عن ثقافة ما عبر التاريخ، وترتبط بحقب تاريخية معينة، معطاة مرة واحدة وإلى الأبد وليست القيم التي تمثلها عناصر متماثلة وصلة لا يدخل إليها الشكل أو التمايز أو التناقض.[27]

إن المشكلة الأساسية التي تواجه الثقافة العربي مثلها مثل الثقافات الأخرى تتمثل بالظاهرة التي أخذت أسماء عدة مثل الغزو الثقافي الاستعمار الثقافي، التلوث الثقافي والاستعمار الالكتروني، وهذه الظاهرة ليست حكراً على ثقافات العالم الثالث ففي عام 1976 وقف وزير خارجية كندا معلناً في خطاب أمام ندوة الحوار الكندي الأميركي قائلاً: "إن مشكلتنا مع الولايات المتحدة ليست قاصرة أساساً على حجم الولايات المتحدة أو على أننا نرقد على سرير واحد مع فيل ضخم – على حد التعبير في هذا التشبيه المعروف – ولكن أكبر مشكلة تواجهنا هو مدى جاذبية الحياة الأميركية بالنسبة لمعظم الكنديين ومدى ولع الكنديين بالمؤسسات الأميركية، والمستوى الثقافي الرفيع الذي حققته الولايات المتحدة والإحساس القوي لدى الأميركيين "بأميركيتهم" أننا ننجذب بعنف شديد إلى الولايات المتحدة لثروتها، لثراء وتنوع الحياة فيها ومع ذلك فأننا نصر في عناد على أننا نفضل كياننا المنفصل رغم ما نتكلفه في سبيل ذلك مادياً وغير ذلك."[28]

إن شكوى الوزير الكنمدي تلك تعبر عن مرارة الهيمنة الثقافية الأميركية والتي بدأت تغزو العالم من خلال وسائل الاتصال الالكترونية وهي في حقيقة الأمر تشير إلى مدى الخطورة التي تواجهها الثقافات التي بينها وبين الثقافة الأميركية مسافة كبيرة مثل الثقافة العربية، ورغم أن الثقافة الكمدية ذات مرجع ثقافي غربي مشترك مع الثقافات الأميركية إلا أنه ما زالت تعاني من مشكلة الهيمنة الثقافية.

إن معظم ما يشاهده الجمهور العربي من أعمال درامية وأفلام وأخبار تأتينا من الغرب، وعلى وجه التحديد من الولايات المتحدة، وهذه البرامج على اختلافها، تحمل معها رؤاها الثقافية وتعبر عن قيم المجتمعات التي انتجتها وهي تترك تأثيراتها على الأفراد والجماعات وليس بالضرورة أن تكون تلك التأثيرات مباشرة، لكنها تتسلل وتختزن في لا وعي المتلقي، حيث تظهر تأثيراتها مستقبلاً على الأفراد والجماعات مما يؤثر على قيمهم وأفكارهم ويؤدي إلى ظاهرة الاستلاب الثقافي إذ يقع الأفراد في أزمة الاغتراب وخاصة فئة الشباب ويرى تقرير الأليكسو أن الاغتراب "تعبير عن عدم الرضا عن الرفض للمجتمع وثقافته، وجوهره، الشعور بالفقدان" "فقدان الذات" مما يخلق عند الفرد شعوراً بالبؤس فلا يستطيع أن ينمي بحرية طاقته الفسيولوجية أو العقلية ويستحيل إلى شخص منهوك القوى جسمانياً، متمزق عقلياً ويرتبط بهذا شعور بالوحدة والخوف وعدم الإحساس بتكامل الشخصية وشعور الإنسان أنه أصبح فرداً بلا موضع واضح ضحية ضغوط غامضة ومصارعة يعيش للمجتمع ولا يجد من المجتمع ما يقدمه له، الأمر الذي يؤدي به إلى فقدان الثقة وبالتالي عدم الالتزام الاجتماعي والتسيب.

ومن هنا كانت الحاجة إلى بلورة فكر عربي أصيل يستند إلى القيم الدينية والتراث الحضاري والثقافي في مواجهة هذا السيل من التيارات الفكرية التي تتصارع على خريطة العالم، أي تأكيد ذاتيتنا الثقافية".[29]

إن البحث عن سبيل لحماية الذاتية الثقافية هو بحث عن سبيل الالتزام بثوابت الثقافة وإدراك أن أشكال السيطرة الثقافية وما يمكن أن تؤديه من تلوث ثقافي تحتاج إلى التحرر من أسر التبعية الثقافية التي ترمي إلى طغيان الثقافة الغربية على الثقافة العربية، وعلى الرغم من الحرص على ذاتية الثقافة واستقلاليتها إلا أن هذا لا يعني أن تأخذ الثقافة طريق الانغلاق لأن ذلك يحول دون امكانيات تطورها وابداعها، فالثقافة أي ثقافة تحتاج إلى التفاعل البناء بين الثقافات المختلفة. وكما يرى تقرير اليونسكو الذي أعده ماكبرايد ورفاقه "والثقافة لا تتطور بانغلاقها على نفسها داخل قوقعتها، وإنما تتطور بالتبادل الحر مع الثقافات الأخرى والحفاظ على الصلة بكل قوى التقدم الإنساني بيد أن التبادل الحر لا بد أن يكون أيضاً على قدم المساواة وقائماً على أساس الاحترام المتبادل ولكي نضمن هذا، فسيكون من الضروري في أحيان كثيرة أن تتم حماية وتعزيز الثقافات المهددة، وتطوير الاتصالات على أساس الاحترام المتبادل ولكي نضمن هذا فسيكون من الضروري في أحيان كثيرة أن تتم حماية وتعزيز الثقافات المهددة وتطوير الاتصالات على الصعيد المحلي، وتمهيد السبيل لأشكال بديلة من الاتصال كترياق مضاد لضغوط وسائل الإعلام الكبرى كذلك ينبغي أن نؤكد أن المشكلة لا تنحصر في العلاقات بين أمة وأخرى بل كثيراً ما تنشأ في أكثر أشكالها حدة وأشدها خطراً داخل الأمم التي تضمن بين سكانها أقليات ثقافية.[30]

ثالثاً: العلاقة بين الثقافة ووسائل الاتصال

1/3 الصلة بين الإعلام والاتصال والثقافة:

الاتصال هو العنصر الأساسي في الحياة البرية والذي يجعلها ممكنة وهو وعاء الثقافة وناقلها، وهو أيضاً أسلوب التعبير عنها. ووسائل الاتصال لها الدور الأساسي في حماية الثقافة ونقلها وتغيرها أيضاً وهي كما يرى تقرير اليونسكو "أن وسائل الاتصال هي أدوات ثقافية تساعد على دعم المواقف أو التأثير فيها، وعلى حفز وتعزيز ونشر الأنماط السلوكية تحقيق التكامل الاجتماعي وهي تلعب أو يتعين عليها أن تلعب دوراً أساسياً في تطبيق السياسات الثقافية وفي تيسير اضفاء طابع ديمقراطي على الثقافة وهي تشكل بالنسبة لملايين من الناس، الوسيلة الاساسية في الحصول على الثقافة وجميع أشكال التعبير الخلاق كذلك فللإتصال دور في تدبير شؤون المعرفة وتنظيم الذاكرة الجماعية للمجتمع، وبخاصة جمع المعلومات العلمية ومعالجتها واستخدامها وهو يستطيع – احتمالاً على الأقل – إعادة صياغة القالب الثقافي للمجتمع ومع ذلك ففي هذا المجال كما في سائر المجالات فإن التطور السريع للتكنولوجيا الجديدة ونمو البنى المصنعة التي تمد سيطرتها على الثقافة وعلى الإعلام، يخلق مشكلات وأخطار".[31]

وسائل الإعلام وأنواع الثقافات:

يفرق الباحثون في مجال الثقافة بين ثلاثة أنواع من الثقافة: الثقافة الراقية High Culture والثقافة الشعبية Popular Culture والثقافة الجماهيرية Mass Culture.

والثقافة الراقية هي ثقافة الصفوة والتي سجلت في الكتب الدراسية الأدبية والفنية، وفي الأعمال الفنية الراقية والتي انتجت للنخبة المتعلمة.

أما الثقافة الشعبية فهي تتسم بالتلقائية التي يصنعها الشعب وتنمو نمواً من أسفل تصنعها الجماهير لتعبر بها عن نفسها من خلال مواهب طبيعية لدى الفنان الشعبي...

أما الثقافة الجامهيرية فهي التي تستمد مضمونها من الثقافة الراقية ومن الثقافة الشعبية وهي منتج من منتجات وسائل الاتصال الجماهيري الراديو والأفلام وكتب التسلية والقصص التلفزيونية والسينما، وهي معدة للاستهلاك الجماهيري وتتسم بالتماثل وتعمل على إرضاء أذواق الجماهير وتعمل على توحيدها، وهي ثقافة مصنعة مفروضة على الجماهير من أعلى فالثقافة الجماهيرية هي الرسائل الاتصالية التي تبثها وسائل الإعلام الجماهيري غير موجهة إلى طبقة محددة ولا أي مستوى ثقافي أو تعليمي محدد.[32]

ويرى ريفز ورفيقاه Rivers, et. Al بأنه قد: أصبحت الثقافة الجماهيرية عملياً ممكنة في ظل ظروف الاستهلاك الكبير والتقدم التكنولوجي الذي سهل الاتصال وجعل منه تجارة رائجة وهكذا باتت الرسائل الإعلامية تخضع لقانون السوق التجاري. وحيث أن السوق التجاري يتطلب دوماً المزيد من السلع بأرخص الاسعار، ولتخاطب متوسط الأذواق فإن هذا استدعى تبسيطاً وتسطيحاً للثقافة والهدف دوماً هو كسب أكبر قدر من الجمهور القارئ أو المستمع أو المشاهد ولكي يتحقق ذلك لجأت وسائل الإعلام إلى اقتناص جمهورها بطرق تستحوذ على الانتباه وخاصة من خلال الترفيه والتركيز عليه.[33]

ومن هنا فإن مضمون الثقافة الجماهيرية يعتمد على الأغنية والتمثيلية والفيلم والقصة المنشورة في المجلة، أنه مضمون ترفيهي مسيطر.

وكما أشرنا في موضع آخر بأن العلاقة بين وسائل الإعلام والثقافة الجماهيرية علاقة تفاعلية فبينما تقوم وسائل الإعلام بضخ مضامينها وهي تشكل منتجات موجهة إلى استهلاك جماهيري، إلا أنها تحمل في طياتها قيماً أصبحت تفرض

نفسها على جمهور المتلقين وباتت هذه الثقافة الجماهيرية تشكل قيماً تؤثر على المتصلين. لقد أصبحت المسلسلات تكرس شخصية السباك الجاهل الذي يمتلك الثروة كشخص مقبول للزواج من طبيبة أو مهندسة. لقد أصبحت الرياضة على سبيل المثال سوقاً رائجاً لدى الإعلاميين لأن لها شعبيتها، وهذه الشعبية أصلاً تم تغذيتها وحقنها للجماهير من خلال وسائل الإعلام.

وهكذا تقوم وسائل الإعلام بترتيب الأولويات وبناء المسرح وتحديد الممثلين عليه وتطالب الجمهور بالمشاهدة وبأسلوب يمتاز بالمحاصرة والتكرار مما يجعل الجمهور يقبل على هذه البضاعة الجماهيرية التي تعرض أمامه وأحياناً بدون وجود اختيارات كبيرة حتى وأن تعددت الوسائل الإعلامية أو اختلفت.[34]

ولعل من أهم المشكلات التي تواجه الثقافة الجماهيرية الآن سيطرة الترفيه على مضمون وسائل الإعلام بالإضافة إلى أن الزاد الثقافي الذي تقدمه يكون سطحياً وهنا تصاب الكلمة بفقر في محتواها ويشكك في مصداقيتها.

إن هذه المشكلة ليست محلية فإن وسائل الإعلام الجماهيرية أصبحت تقدم الخبرات الثقافية لمئات الملايين من البشر وتقدم خبرات جديدة من الأجيال الجديدة التي توفر لهم ثقافة جديدة وأشكالاً ترفيهية بدأت تسيطر على وقتهم.

ولكن هذا الترفيه كما أشار تقرير اليونسكو ".... مبتذل ونمطي بدرجة تجعله يحد من الخيال بدلاً من أن يثيره تحمل تأثيرات المصالح التجارية والإعلانية وكذلك ما يقره البيروقراطيون من كل نوع من التزام ثقافي عقيم، مخاطر تسطيح وافقار وتجريف الحياة الثقافية وليست هذه هي كل أوجه التناقض ففي بعض الأحيان أدت الفرص الجديدة المتاحة إلى اثارة الإبداع الخلاق لدى الأفراد وأدت في أحيان أخرى إلى تشجيع التقليد والسلبية لدى الجمهور وقد تأكدت في بعض الأحيان الذاتية الثقافية للأقليات العرقية وغيرها من الأقليات باستغلال السبل الجديدة للتعبير، إن كانت المؤثرات الخارجية قد طغت عليها في أكثر الأحيان.

إن المسؤولية الملقاة على عاتق وسائل الإعلام الجماهيري مسؤولية هائلة – سواء كان ذلك خيراً أم شراً – ذلك أنها لا تقوم بمجرد نقل الثقافة ونشرها بل بانتقاء محتواها أو ابتداعه".[35]

رابعاً: وسائل الإعلام والمصداقية

1/4 ثوابت الإعلام:

في 1964/2/21 صدر دستور الاتحاد العام للصحفيين العرب والفقرة (ب) من الدستور تشتمل على ميثاق العمل[36]، وهذا الميثاق يمثل نظرياً أساساً للثوابت التي يجب أن يلتزم بها الصحفيون العرب، وهنا سوف نشير إلى العناصر التي ترتبط بمصداقية الكلمة، وهي تتمثل بالثوابت التالية:

1. حرية الصحافة هي أبرز مظاهر حرية الكلمة ويجب أن تتوافر لها كل الضمانات وحرية الكلمة حق وشرف وواجب على الصحفيين العرب لأداء رسالتهم.
2. على الصحفي أن يتوخى الأمانة والصدق في بسط وتفسير رأيه وأن يراعي دائماً المصلحة العامة في كل ما يقدم للرأي العام.
3. على الصحفي أن يكون حريصاً على ألا يشوه أو يخفي بأية طريقة من الطرق عمداً الوقائع الصحيحة.
4. أن شرف مزاولة المهنة الصحفية يحتم على الصحفي ألا يسعى مطلقاً وراء منفعة شخصية فالافتراء أو التشهير المتعمد أو التهم التي لا تستند إلى دليل أو انتحال أقوال ونسبتها للغير أو إثارة الغرائز بالكتابة أو الرسوم أو بأية طريقة أخرى أو إشاعة الانحلال والابتذال والخروج على الآداب والأخلاق

العامة أو وصف الجريمة بطريقة تغري بارتكابها كل هذا ما يتنافى مع شرف المهنة وأسولها.

وفي توصيات ومقررات المؤتمر الثالث لاتحاد الصحفيين العرب المنعقد في بغداد 17-20 نيسان 1972 أضافت إلى الثوابت توصيات ترتبط مباشرة بمصداقية الكلمة، إذا طالبت بـ:

5. يلتزم الصحفيون باحترام الحقوق الأدبية للنشر وعدم اقتباس أي أثر من آثار الغير دون إشارة إلى مصدره.

6. لا بد أن تتضح التفرقة بين الرأي والإعلان ولا بد أن ينص في الجرائد والمجلات على الاعلانات التحريرية بوضوح وتحديد.

وتلتزم الصحف والمجلات ووسائل النشر بالتحقق من الأرقام والحقائق والواردة في الإعلان حفظاً لمكانة الصحيفة وسمعة الصحافة.[37]

وقد طرح تقرير المنظمة العربية للثقافة والآداب العلوم أن النظام العربي الجديد للإعلام والاتصال يهدف إلى تحقيق التطور للفرد والمجتمع بمساهمة الإعلام، ولذا فإن هناك مهمات أساسية لوسائل الاتصال يمننا تصنيفها كما يلي[38]:

1- في المجال البشري: بناء شخصية الفرد العربي وتكوينه النفسي والفكري، وتطوير النظرة إلى المرأة العربية والمساهمة في تربية الأطفال وتكوينهم والاهتمام بإعاد الشباب العربي وتثقيفهم والاهتمام بمشاعل المعومقين والمسنين.

2- في مجال الحريات: ضمان حرية الإبداع وحق الاتصال والحوار وممارسة الحريات بمختلف أشكالها.

3- في المجال الاقتصادي والتنموي: تقوم وسائل الإعلام بالمساهمة في التنمية الشاملة للحياة وترسيخ قيم جديدة في مجالات النشاط

الاقتصادي والمساهمة في اجراء الحوار والنقد حول الخطط التنموية ومشاكلها وتعريف الفرد بأهداف التنمية، وتقويم المشاريع ومستوى الأداء والنتائج لخطط التنمية.

4- في المجال الثقافي: ترسيخ الثقافة القومية والحفاظ على الخصوصية القومية وتغيير اتجاهات الناس وقيمهم وربط حاضر الأمة بماضيها وتعميق المفاهيم الروحية وتطوير اللغةالعربية والتكيف من التغيرات الحضارية والثقافية والعلمية.

5- في مجال القيم: ترسيخ مفاهيم الاعتماد على النفس والثقة بها والإيمان بالتكافل الاجتماعي والروح الجماعية.

6- في المجال الوطني والقومي غرس مفاهيم عن الوطن والمواطنة والارتباط بالأرض بالانطلاق من الوجود الاجتماعي والثقافي والروحي والحضاري للأمة العربية. ومواجهة الغزو الثقافي الأجنبي الذي يهدد شخصية الأمة العربية وهويتها وقيمها الحضارية ويشوه تراثها وتاريخها.

من خلال استعراضنا لهذه النقاط كما جاءت في وثائق اتحاد الصحفيين العرب ووثائق جامعة الدول العربي، يتضح لنا الثوابت التي يجب أن يلتزم بها الصحفيون والإعلاميون، وهذه الثوابت التي بات التركيز عليها مهما في العملية الاتصالية وهو العنصر المستهدف من العملية الاتصالية وهو الجمهور والمجتمع، وتنص الدساتير الوطنية والمواثيق الدولية على:

أ) حق الجمهور في الحصول على المعلومات ومعرفة الحقيقة والاطلاع على وجهات النظر المختلفة.

ب) حق الجمهور في القدرة على الوصول إلى وسائل الإعلام التي يمكنها أن تزوده بالمعلومات والمعرفة.

ج) حق المجتمع في الحفاظ على هويته الثقافية ومواجهة الغزو الثقافي الأجنبي.
د) الحفاظ على اللغة القومية وتنميتها.
هـ) حق المواطن والمجتمع في أن توفي وسائل الإعلام التزامها في غرس القيم البناءة بين أفراد المجتمع وخصوصاً الأطفال والشباب، وترسيخ القيم الفاضلة في المجتمع.

ونظرة فاحصة إلى واقع الإعلام العربي سوف تكشف لنا الدور الذي تلعبه وسائل الإعلام في السيطرة على تدفق المعلومات ونوعيتها مما يحرم الجمهور حقه في الحصول على المعلومات، ونظرة فاحصة إلى القوانين المشرعة في الوطن العربي سوف تكشف أنها تحد من قدرة الجمهور في الوصول إلى وسائل الإعلام.
وسنفرد في الصفحات التالية تحليلاً لبعض المشاهد من أوجه الخلل التي نتجت عن سوء استخدام وسائل الإعلام والتي كان نتيجتها المباشرة التأثير على مصداقيتها.

2/4 السيطرة على وسائل الإعلام وعلاقتها بتدفق المعلومات والأفكار:

إذا كانت وسائل الإعلام ذات مهمة أساسية تتلخص في انتاج ونقل ونشر الأفكار والمعلومات فإن السيطرة على المؤسسات الإعلامية العربية تمثل مجموعة مصالح الأنظمة الحاكمة أو مالكي هذه المؤسسات الإعلامية، ويكون من مصالحها الحد من تدفق المعلومات وتداولها ونشر الأفكار والحوار حولها.

وتتستر في أحيان كثيرة تحت مظلة الخصوصية الثقافية، وحماية الثقافة الوطنية والقيم السائدة والتراث، وهذه المبالغة أدت وتؤدي إلى خلق نمط من أنماط الوسائل الإعلامية التي تنظر إلى العالم بعين واحدة هي عين الرقيب، وتحاول أن تفصل مقاييس معينة لما ينشر أو لا ينشر ولما يذاع أو لا يذاع وتلعب وسائل الإعلام في مختلف أنحاء الوطن العربي أدواراً مشابهة وإن كانت متفاوتة وبمراجعة لما تقدهم وسائل الإعلام المسموعة والمرئية من برامج فإن أي مراقب محايد سيلاحظ حجم الترفيه فيما تقدمه هذه الوسائل وسيلاحظ كذلك حجم ما يقدم من برامج غربية والتي تؤدي إلى السلبية والانعزال وتؤدي إلى جذير النمط الاستهلاكي عند الناس، وإلى غرس أنماط غريبة عن المجتمعات العربية، وهذه النماذج التي تشكل مثلاً أعلى ونماذج للتفوق الأسطوري تؤدي إلى خلق ثقافة الهروب والعزلة كما تقول فريدة النقاش: "يصطدم المثل الأعلى الرأسمالي كما تقدمه الثقافة والإعلام بحقائق الحياة السافرة في هذه البلدان الصغيرة التابعة وينشأ ذلك التناقض الروحي الذي يصعب بل يستحيل حله بين الحياة الفعلية للناس والمثل الجميل الذي يقدمه باعتباره مثلاً دون أن يكون هناك أدنى أمل في تحقيقه.. هكذا ينشأن التهالك على ثقافة الهروب والعزلة، ثقافة الفردية الشديدة والسلبية المناهضة لروح الجماعة والعمل الجماعي ثقافة الملكية الفردية في مواجهة الملكية العامة التي تفضي بالمرء لأن يكون وحشاً وحيدأت باحثاً عن التملك في غابة من الوحوش... الصغيرة والكبيرة... ثقافة الانفصال عن الواقع لا الأعداد الروحي الشامل لتغييره في حدود معطياته هو، معطيات الحياة ثم الكشف عن القدرات الكامنة للناس المنوط بهم عملية التغيير".[39]

إن حديثنا عن السيطرة الرسمية على وسائل الإعلام العربية، واكبه نوع آخر من السيطرة الاقتصادية فوسائل الإعلام في دول النفط الخليجية استطاعت أن

تفرض شروطها على الانتاج الإعلامي وما يحمله من مضامين وأشكال أي على المبدع والجمهور في آن واحد.

إن قائمة الممنوعات التي يفرضها الرقيب الخليجي مثلاً على الإنتاج التلفزيوني العربي، جعلت الكاتب والنمتج المخرج يعد عمله وعينه وجيبه تنظر وتنتظر السوق الخليجي، لذا فإنه سيلتزم بالشروط التي يفرضها الرقيب الخليجي، وهذا أدى إلى هذا المستوى الهابط من الأعمال الدرامية التلفزيونية العربية التي صممت لملاءمة شروط ذلك الرقيب، وهنا تكمن أزمة مصداقية الكلمة الاتصالية التي تخضع لقائمة طويلة من الممنوعات والتي يمكن أن تضيع معها الكلمة الصادقة، فقط ضمان تسويق المسلسل باعتبار أن السوق الخليجي هو أهم الأسواق العربية لشراء الأعمال الدرامية.

وإذا انتقلنا إلى مثال آخر في مجال الكلمة المكتوبة – وقد تكشف جلياً خلال أزمة الخليج حيث أبدت بعض الصحف مثل جريدة "الشرق الأوسط" وجريدة الحياة" ومجلة "المجلة" وغيرها، سخاء غير طبيعي من خلال صرف مكافآت للكتاب والصحفيين، بل وفي أحيان أخرى استكتاب كتاب مرموقين وتعيين صحفيين معروفين بدون أن يلتزم هؤلاء بالكتابة في تلك الصحف أدى ذلك كله إلى شراء أقلام كانت في يوم ما ملتزمة بالكلمة الصادقة، وهذا أدى بشكل غير مباشر إلى تدعيم الصحف واكسابها مصداقية قد لا تستحقها. وهنا يكمن دور أساسي في تزييف الكلمة وتزييف الوعي معها.

3/4 كيف تزيف وسائل الإعلام الحقيقة؟

من الأمور التي تثير الجدل الدول الذي تلعبه وسائل الإعلام في تزييف الحقيقة.

وهذا الدور يشمل مجالات مختلفة في السياسة، الرأي العام، الإعلان، وفي العلاقات العامة.

لقد درس باحث أميركي دور وسائل الإعلام في خلق ما أسماء بالأحداث المختلفة (الكاذبة) Pseudo-Events، مثل[40]:

1) المقابلات الصحفية، وهي طريقة جديدة لصنع الأخبار.

2) المؤتمرات الصحفية التي يعقدها المسؤولون.

3) البرامج السياسية المنتظمة والتي هي أشبه بمؤتمرات صحافية تستضيف السياسيين من أمثال البرامج الأميركية Meet the Press, Face the Nation.

وبرنامج مواجهة En Counter في التلفزيون الأردني.

4) البيانات الإخبارية News Releases التي تصدرها الجهات المختلفة سواء أكانت سياسية أم صادرة عن مؤسسات اقتصادية أو نقابية، أو غيرها والبيان هو خبر مطبوخ مسبقاً وجاهز عند الحاجة.

وتتصف الأحداث المختلفة بالخصائص التالية:

1. إنها ليست عفوية ولكنها توجد لأن شخصاً أو جماعة أو جهة ما خطط لها وصنعها.

2. في الغالب يتم خلقها لأهداف آنية لتغطيتها وانتاجها إعلامياً، ولذا فإن حدوثها أمر مرتب لراحة هذه التغطية أو إعادة الانتاج الإعلاني. وتكون أهمية السؤال هل هي حقيقة أقل أهمية من السؤال حول جدارتها بأن تكون ذات قيمة إخبارية.

3. علاقتها بالموقف الواقعي غامضة، وينبثق الاهتمام بها بشكل كبير من غموضها، إن الاهتمام بالمقابلة (الصحفية) دائماً يكون هل هي حقيقة حصلت أو ما هو الدافع وراءها.

4. عادة ما يكون هدفها تحقيق تنبؤ بالاكتفاء الذاتي فحينما يعلن بنك احتفاله بالذكرى الخامسة عشرة لتأسيسه فإنه يميز نفسه كمؤسسة تجعله رقم واحد.

تزييف الكلمة... تزييف الوعي:

تطغى الأحداث المختلقة على الأحداث العفوية لعدة أسباب:

الأحداث المختلقة أكثر درامية من الأحداث العفوية ومثالها الجدال بين المرشحين للانتخابات.

ولأن الأحداث المختلقة قد خطط لها فإنها سرعان ما تنشر لكونها حيوية، كما يتم اختبار المشاركين لأنهم جديرون بالظهور في مثل هذه الأحداث ولكونها ذات اهتمامات بالموضوعات التي تتسم بالطبيعة الدرامية، ويمكن إعادة الأحداث المختلقة عند الإرادة (الرغبة) ومن ثم فإن الانطباع الذي تخلقه يمكن إعادة الأحداث المختلفة عند الإرادة (الرغبة) ومن ثم فإن الانطباع الذي تخلقه يمكن إعادة تعزيزه.

ويكلف صنع الأحداث المختلقة أموالاً طائلة ومن ثم فإن شخصاً أو جهة ما لديه مصلحة في نشرها وتضخيمها والإعلان عنها واستغلالها، كأحداث تستحق المشاهدة أو الاقتناع بها، ولذا فإنه يتم الإعلان عنها مسبقاً ويتم إعادتها من أجل الحصول على ما تستحقه من أموال.

ولأن الأحداث المختلقة مخطط لها بوضوح فإنها تكون أكثر وضوحاً ومن ثم أكثر تأكيداً والأحداث المختلقة أكثر اجتماعية وإثارة للجدل وأكثر راحة للمشاهدة كما خطط لها.

وهكذا تصبح معرفة الأحداث المختلقة الاختبار والمقياس لمعرفة ما يجري من أحداث أن الأحداث المختلقة تأخذ بتلابيب الأحداث المختلقة الأخرى عن طريق تقديم هندسي، وتسيطر على وعي المتلقي لأنها دائمة التجديد وهناك المزيد منها دائماً.

إن الأحداث المختلقة ذات حقيقة غامضة وتنمو على حساب رغبتنا الصادقة في كوننا نريد أن نعلم وأن نحصل على جميع الحقائق وحتى الحصول على المزيد من الحقائق أكثر مما هي في الواقع وهذه الأحداث تقوم باستدعاء واستثارة رغبتنا بالتثقيف وبمتابعة كل ما هو جديد.

4/4 الإعلان... الصورة الخادعة والكلمة المراوغة:

الإعلان ليس مجرد ترويج لسلعة أو خدمة ما، إنه يحمل في طياته ثقافة، ويعبر عنها من عدة أوجه:

1. إنه يحمل معه ثقافة مصدر السلعة.
2. ويحمل معه ثقافة المعلن ومصنّع الإعلان.

وينظر الناس إلى الإعلان على أنه رسالة مغرية لشراء السلعة وبها عناصر جذب متنوعة فهي تعتمد على الكلمة المشحونة عاطفياً، والكلمة ذات القوة الاقناعية، وتعتمد على الصورة الجميلة والمثيرة للانتباه وتعتمد على الموسيقى والرقص والقليل من ينظر إلى الإعلان كمادة ثقافية يمكنها أن تحمل معها جوانب إيجابية وأخرى سلبية.

إن الإعـلان ذو بعـد اقتصـادي لا تخفـى جوانبـه مـن حيـث تنشـيط الحركـة الاقتصادية. لكن هذا الجانب يحمل معه بعداً ذا أثر سيء من حيث إشاعة النمط الاستهلاكي في مجتمعات غير منتجة، وتعويد الناس على شراء سلع كمالية مما يشكل فيما بعد عادات تتسلل إلى ثقافة الناس وحياتهم اليومية.

إن الإعلان يقول كلمات تحمل غموضاً وتراوغ في معانيها، ولنأخذ أمثلة من بعض الإعلانات في الصحف اليومية الأردنية:

1) "فاكس موراتا طريق النجاح"

2) "عبدالهادي للمفروشات صناعة أردنية مميزة ذات جودة عالية"

3) "موس هي الحل... أجهزة الإنذار الأكثر تطوراً، نفتخر بأننا رقم 1 في الأردن"

4) "جورسال لصناعة المطابخ ذات الجودة النادرة... لنخبة فقط"

"قـادمون لنعتلـي الصـدارة فـي السـوق الأردنـي... حارقـة التدفئـة المركزيـة، كلامكية... من بلاد التكنولوجيا... ألمانيا تعدكم بشتاء دافئ ودون مشاكل".[41]

إن تحليلاً لمضمون هذه الإعلانات يرشدنا إلى طريقة استخدام اللغة التي تحاول أن تستميل قارئيها....، لكنها لغة إذا لم تكن صادقة فإنها لغة تفتقد إلى التثبت من مضمونها، فماذا يثبت إن استخدام فاكس موراتا طريق النجاح، ومن يثبت أن مفروشات عبد الهادي مميزة وذات جودة عالية، ومن أثبت أن أجهزة موس وليس غيرها هي الحل؟ وهل أجريت دراسة كي يفتخر موزع هذه الأجهزة بأنه رقم 1 في الأردن؟

وكيف أثبت جورسال أن نمطابخه ذات جودة نادرة وللنخبة فقط وكيف تحقق مسوقو "كلامكية" بأنهم سيعتلون الصدارة في السوق الأردني... وهل ألمانيا هي الوحيدة بلاد التكنولوجيا حينما أسموها بلاد التكنولوجيا...

هذه عينة من إعلانات في جريدة وفي يوم واحد ويتضجح منها كيف تعمل معها لغة مليئة بالتمويه والخداع وهي بكل تأكيد تحقق أهدافها، تتسلل إلى عقول الناس ويتخذون قراراتهم بناء عليها وتصبح جزء من حياتهم اليومية وبمراجعة إعلانات التلفزيون التي تستخدم الكلمة والصورة والحركة والموسيقى نرى إلى أي حد يمكن لهذه الإعلانات بصورها الخادعة وكلماتها المراوغة، أن تخلق عند المشاهدين نماذج للاحتذاء.

وتعتبر فريدة النقاش عن ذلك من خلال التجربة المصرية وتقول:

"الإعلان مادة ثقافية أيضاً لأنه يسهم في خلق نمط حياة في تأصيل عادات ونبذ أخرى في خلق مثل نموذجي للسكن والملبس والمأكل والخق للادخار والشراب والترفيه للحلم وطريقة تحقيق الحلم، وكلما زادت تبعية اقتصاد بلد نام للاقتصاد الرأسمالي كلما ازداد هذا النم الجديد الذي يقدم عبر الإعلان انتشاراً، ولعب دوراً متزايداً في ترجمة الجانب الروحي والوجداني للتبعية لأن المثل الأعلى الاستهلاكي المرتبط بالبضاعة سرعان ما يلبس زياً قومياً ومحلياً. يصبح العالم الحقيقي المرجو هو أمريكا، ويصبح الأمريكي هو الإنسان تماماً كما أن "العملة" هي الدولار.[42]

5/4 وسائل الإعلام والأغنية:

الأغنية أكثر من مادة مطرية، إنها كلمات تحمل المعاني وترافق الموسيقى فتدغدع العواطف وتخاطب العقل معاً.

واستطاعت وسائل الإعلام – وخصوصاً الإذاعة – أن تقوم بدور هام في زيادة وعي الجمهور الفني وخلق قاعدة جماهيرية واسعة من المحيط إلى الخليج تستمع إلى أم كلثوم وعبدالوهاب وفيروز وعبدالحليم حافظ وفريد الأطرش

وغيرهم. ومع زيادة شعبية هؤلاء وتكرار أغنياتهم أصبحت الأغنية أن تسهم في صياغة الوجدان الوجدان العربي المشترك، تؤثر على لغة الخطاب اليومي للإنسان العربي وباتت مفردات الأغنيات تتردد على أفواه الناس وتستخدم في حديثهم اليومي. ولم يقتصر هذا على المستوى الرفيع من الأغنيات التي كانت تحمل كلمت شعراء العربية القدامى والمعاصرين، بل انسحب هذا أيضاً على أغنيات ترددها الإذاعات العربية وهي فارغة من المضمون، وإذا حوصرت هذه الأغاني هي الإذاعة فإنها تجد العربية وهي فارغة من المضمون، وإذا حوصرت هذه الأغاني في الإذاعة فإنها تجد طريقها عبر الأفلام السينمائية وأشرطة الكاسيت وهذا النوع من الأغاني الذي اشتهر طريقها عبر الأفلام السينمائية وأشرطة الكاسيت وهذا النوع من الأغاني الذي أشتهر من فرسانه أحمد عدوية وغيره كثير من المغنيين الشباب، فإنهم يسهمون في أفساد الذوق.

وكما لاحظ باحث عربي على الأغاني المسيطرة في الإذاعات المصرية:

1. غلبة النمط الفردي على الأغاني.
2. غرق أغاني الحب والغرام المهزوم.[43]

6/4 النقد الصحفي وكتاب الأعمدة:

إن الآراء التي نقرأها مبثوثة هنا وهناك غالباً ما تحمل أشكالاً من المجاملات أو التحامل، وهذا الشكل من التحيز نجده خلال النقد للأعمال الإبداعية أدباً وفنوناً تشكيلية، وكذلك فإن الآراء التي يكتبها كتاب الأعمدة غالباً ما تفتقر إلى الموضوعية والدقة العلمية فيام يطرحونه من قضايا. وهذا يؤدي في المحصلة النهائية – إذا كان القارئ عادياً – إلى التسليم بما يقرأ وتكون نتيجته تزييف وعي القارئ وتضليل المبدع.

أ) على مستوى تزييف وعي القارئ العادي فإن المعلومات التي يتلقاها والآراء لا تقبل التمحيص والتدقيق في مدى صحتها، وتأخذ الكلمة مصداقيتها لكونها نشرت في صحيفة أو مجلة "محترمة".

ب) على مستوى تضليل المبدع فإن الآراء النقدية التي يكتبها صحفيون تتسم بالذاتية والانطباعات الشخصية – وغالباً ما يكونون غير مؤهلين لتلك العملية النقدية – ويمكن أن تؤدي آراؤهم بالمبدعين وخاصة المبتدئين منهم – إما إلى الغرور إذا كانت تكيل لهم الثناء في غير محله، أو تؤدي بهم إلى النكوص إذا كان الآراء النقدية مثبطة.[44]

7/4 ظواهر السرقات العلمية:

من الأمور اللافتة للنظر قضية السرقات العلمية والتي استشرت في الأوساط الأكاديمية وخصوصاً في الثمانينات من هذا القرن وأصبحت وسائل الإعلام المطبوعة تزخر بالأعمال المسروقة والتي يقوم بالسطو عليها حملة ألقاب علمية، وهناك أمثلة كثيرة على كتاب سرقوا جهود الآخرين نشروها في مجلات محترمة، أو نشروها في كتب ويمكنتتبع الكثير من النماذج في حقول العلوم المختلفة[45] ولا يخفى على أحد مدى الإساءة التي تحيق بالكلمة ومصداقيتها حينما تتعرض الأعمال الأدبية والعلمية إلى سطر بات يشبه الظاهرة.

8/4 الحداثة والمفاهيم المختلطة:

الشعر ديوان العرب، سارت ثورة الشعر الحديث منذ منتصف هذا القرن بخطوات سريعة، وقدم رواد الشعر الحر نماذج تحتذى، بدأت ظواهر أدبية وفنية

تزدهر ولعل أبرزها ظهور الشعر الحر وانتشاره وقد لمع مجموعة من أسماء جيل الرواد أو الجيل الثاني لهم، وقد استفادت الحركة الشعرية الحديثة من النماذج السائدة في الثقافة الغربية وخصوصاً الإنجليزية والفرنسية، وأدت إلى بروز هذه الأنماط الأدبية التي سادت وما زالت تسود في مجال الشعر والرواية والمسرح، وأصبحت بعض النماذج والرموز في الحركة الأدبية أمثلة تحتذى بل وأصبحت مفرداتهم اللغوية تتكرر لدى المقلدين من الشباب. وظهرت أشكال فنية تعبيرية مثل القصيدة النثرية والتي باتت تنشر جنباً إلى جنب مع القصيدة الشعرية، وأدى ذلك إلى عزوق القارئ العادي عن قراءة القصيدة الحرة والقصيدة النثرية معاً، لأنه ببساطة لم يعد يدرك الفرق بينها فقد اختلطت المفاهيم لدى النقاد، وأصر كتاب القصيدة النثرية على اعتبار أن ما يكتبونه شعراً وكانت النتيجة اختلاط المفاهيم وجمهور قليل من القراء مرتبك ونماذج أمام الشباب تسمى شعراً عليهم أن يقرأوها ويستوعبوها بل ويقلدونها... وهكذا فقد كان متوقعاً أن تعطي الحداثة دفعاً واغناءً مستمراً للحركة الأدبية إلا أنها أدت إلى افتقاد الحركة الأدبية دينامية الابداع التي تتنافى مع التقليد كما أشار إلى ذلك برهان غليون حين قال "ولكن أزمة النظرية الحداثية هذه لم تلبث حتى ظهرت عندما تحقق التطابق بين أشكال التعبير الفني العربي العالمي. وبعد أن كان معيار الجدة بالمقارنة مع التراث كافياً.

ليضفي قيمة على العمل الفني، أصبح من الضروري أن يخضع هذا العمل إلى معايير الإبداع العالمية وعندئذ زاد الشعور بأن الإنتاج الأدبي الحديث في العالم العربي يفتقد إلى الإبداع الفعلي والأصالة أي الطرافة وأنه رغم مسايرته للأشكال الفنية العالمية، لم ينجح في أن يكون عالمياً. وظهر أن الحداثة ليست كافية كي يكون للعمل الأدبي قيمة فنية أصيلة وسبب ذلك في الواقع أن دينامية الإبداع تتنافى مع التقليد، وتنبع مباشرة من القدرة على إطلاق الطاقات الدفينة

والكامنة في نظام خيالي – رمزي تابع لكل ثقافة وذلك بقدر ما تكون هذه الثقافة مجسدة وملخصة لتاريخ تطور الجماعة، تراثها وتوازناتها ومشاريعها وطموحاتها وآمالها وآلامها".[46]

9/4 وسائل الإعلام والمؤسسات الثقافية واللغة:

تلعب وسائل الإعلام والمؤسسات الثقافية دوراً هاماً في التأثير على اللغة ونموها واستعمالها لها.

إذ تزودنا وسائل الإعلام بمصطلحات جديدة، ويدخل إلى قاموس حياتنا مفردات عديدة بعضها يفد إلينا من لغات أجنبية، كما تدخل المصطلحات إلى الحياة اليومية للمواطنين بدون أن يتحققوا من محتواها.

وتجهد بعض المؤسسات الثقافية وخاصة مجامع اللغة العربية في تعريب المصطلحات في مختلف المجالات بجهد علمي منظم، إلا أن الجهود الفردية التي يقوم بها أكاديميون وإعلاميون، تطغى على الجهود المؤسساتية المنظمة ولعل من أسباب ذلك عدم التنسيق بين وسائل الإعلام ومجامع اللغة العربية، ووزارات الإعلام والثقافة والجامعات.

ويحتاج استخدام المصطلح وتعميمه إلى وسيلة تعمل على نشره وعلى تعزيز استخدامه.

وحينما كانت قرارات مجامع اللغة العربية ومعاجمها المتخصصة لا تلقى الرواج في أوساط الجامعات ولا بين الكتاب والمثقفين ولا بين وسائل الإعلام فإن السبيل الوحيد الذي يمكن أن يرسخها هو أن يتم اعتماد استخدامها في اللغة الأكاديمية واللغة الإعلامية وذلك أمر ميسور ولو طلبت المجلات الأكاديمية ممن ينشرون فيها استخدام المصطلحات العربية كما أقرها المكتب الدائم لتنسيق

التعريب، لو طلبت وزارات الإعلام من مؤسساتها الإعلامية وخاصة الإذاعة والتلفزيون استخدام تلك المصطلحات، فإننا سنجد أن فرصة الحياة لتلك المصطلحات ستصبح كبيرة بدلاً من أن تظل مصطلحات بعيدة عن الاستخدام اليومي.

ولا يغيب عن بالنا الدور الهام الذي تلعبه وسائل الإعلام في التأثير على اللغة المحكية اليومية، هذا التأثير الذي بات يقرب بين اللهجات العربية وصار يساعد في تكوين لغة وسطى بين اللغة الفصحى واللهجة اليومية، وهذه اللغة الجديدة أصبحت اليوم لغة الإعلام.

إن الحفاظ على اللغة العربية لا يعني عدم نموها، ولكنه يعني حمايتها من تدهور مستواها وخصوصاً في الأداء الإعلامي، الذي بات تأثيره طاغياً على لغة الناس، وصار ضرورياً العمل على حماية اللغة العربية لضمان مستوى أدائها في الإعلام وخصوصاً في الأداء المحكي في الإذاعة والتلفزيون.

فوسائل الإعلام تلون الكلمة وتكسبها معاني جديدة، وتدخل إلى قاموس اللغة مفردات ومصطلحات جديدة بعضها واضح الدلالات والبعض الآخر يكتنفه الغموض.

10/4 وسائل الإعلام والتأثير على الوعي بخلق الصور النمطية وزرع قيم جديدة:

الصور النمطية هي تلك الصور التي تنطبع في الأذهان عن أشخاص أو شعوب حاملة معها سمات موضوعة في قالب ذهني يحد من التفكير في تصور هؤلاء الأشخاص أو الشعب بصورة مخالفة للصورة المنطبعة في الذهن.

وتقوم وسائل الإعلام بدور هام في صنع هذه الصور النمطية من خلال عرض صورة لشخصية ما كالمعلم، الشيخ، الشرطي، الفنان، العامل، الفلاح إلخ.

وهذه الصورة تحمل سمات يتم تكرارها في وسائل الاتصال المختلفة مما يؤدي إلى رسوخ هذه السمات عن تلك الشخصيات وكذلك يتم صنع الصور النمطية عن الشعوب مثل الصورة التي رسمها الإعلام الغربي عن الفلسطينيين كإرهابيين.

كانت صورة المعلم تحتفظ بمكانة تليق بدوره الإنساني المتحيز ولكن ما هو السبب الذي أدى إلى هبوط مكانته وزعزعتها في المجتمع؟ هل العامل الاقتصادي هو السبب؟ أعني هل تدني مستوى دخله هو الذي قاد إلى هذا الوضع؟

بلا شك أن هذا عامل لا يمكن تجاهله، ولكن نظرة فاحصة إلىالدور الذي لعبته وسائل الإعلام الجماهيري في خلق صورة نمطية عن المدرس والإساءة إليه في السينما وفي المسرح والتلفزيون يمكن أن تشرح لنا جانباً من هذه المسألة وعلى سبيل المثال مسرحية مثل مسرحية مدرسة المشاغبين والتي نقلتها تلفزيونات الوطن العربي وتم استنساخ أشرطة فيديو عنها أصبحت في متناول الجمهور وشاهدها ملايين الأطفال العرب، فقد أثرت تأثيراً سلبياً عن نظرة الجمهور إلى المعلم ولا زالت وسائل الإعلام تبث إلينا صوراً نمطية لشخصيات أساسية في المجتمع "وتقدمها بصورة هزلية مثل شخصية العسكري والشرطي والشسيخ"، وتبث كذلك قيماً جديدة باتت تؤثر على الأفراد وخصوصاً الأطفال واليافعين. وأقل ما يمكن أن توصف بها هذه الصور أنها صور مشوهة لا تعكس الحقيقة ولا تقدم المثل الذي يجب أن يحتذى.

من خلال ما استعرضناه هنا يمكننا أن نلاحظ أن التعرض المستمر للتحريف للواقع الذي تقدمه وسائل الإعلام عبر الكلمة والصورة سيؤدي إلى أن ينمو الناس مع قيم واتجاهات ومعتقدات مزيفة غير واقعية، ويلعب العامل الاقتصادي – الإعلان، وعامل السيطرة – السياسة، دوراً أساسياً في التحكم بالوسائل

الإعلاميـة ورسـائلها المزيفـة مـن أجـل تحقيـق منـافع أولئـك المتحكمـين بوسـائل الإعلام.

خامساً: خاتمة

في التقرير العام الذي أصدرته المنظمة العربية للثقافة والعلوم والآداب "اليكسو" عـام 1987 جـاء أن مهمـة العمليـة الإعلاميـة العربيـة: "تنسـجم مـع مـا طرحتـه اليونسكو مع رؤية لمفهوم النظام الإعلامي العالمي الجديد والذي يرى بأن مهمة العمليـة الإعلاميـة "تشـمل مختلـف جوانـب الحيـاة، الاقتصـادية، والاجتماعيـة والثقافية، والعلمية، والتعليمية، والروحية، فضلاً عن المساهمة في بناء شخصية الفرد والذاتيـة القوميـة، والاهتمـام بالقضـايا الوطنيـة، بالمفاهيم المعاصـرة كحقوق الإنسان، ومقاومة الامبريالية والعنصرية، والتأكيد على ضرورة المشاركة في بناء الحضـارة الإنسـانية، وتعميـق التفـاهم والتعـاون بـين الشـعوب، والـدعوة إلـى سيادة العدل والسلام."[47]

وقـد دعـت اللجنـة الحكومـات العربيـة والـوزارات العربيـة المختصـة إلـى الأخـذ بمجموعة من التوصيات في مجالات السياسة الإعلامية وحق الاتصال والتكافل والتعاون، وفي مجال الثقافة والتربية والعلوم، وفي مجال المعلومات والمعلوماتية. ومـن أهـم التوصـيات التـي تعنينـا هنـا فـي مجـال الإعـلام والثقافـة وصـلتها بالمصداقية ما يلي[48]:

1) التأكيد على احترام حق الاتصال في كل قطر عربي وبين البلدان العربيـة، واعتبـاره حقـاً أساسـياً مـن حقـوق الفـرد والجماعـة، وإيجـاد الظـروف المناسبة والمناخ الملائم ليتسنى للفرد والجماعة ممارسته.

2) العمل على إيجاد توزيع متوازن لوسائل الإعلام والاتصال داخل القطر الواحد من حيث انشائها أو إيصالها أو شبكاتها، ويسد حاجة الوضع الجغرافي والسكاني، حاجة الأقليات الدينية والعرقية والقومية، والثقافات المختلفة، والمستويات الاجتماعية المتباينة بغض النظر عن الاعتبارات الاقتصادية.

3) التأكيد على أن ممارسة حق الاتصال ترتبط ارتباطاً وثيقاً بحرية الفرد والجماعة.

4) التأكيد على أن حرية العمل الإعلامي هي الضمان الأول لفاعليته ومصداقيته، وتتكامل في هذا الاطار الحرية والمسؤولية، ومن ين مقتضياتها حماية العاملين بالإعلام، وتوفير القدر المناسب لهم من الضمانات التي تكفل استمرارهم في عملهم وعدم حرمانهم من العمل الإعلامي وإعطائهم التعويضات التي تتناسب مع حادة مسؤوليتهم.

5) تجنب طغيان عامل الربح على النشاط الإعلامي والاتصالي سواء كان حكومياً أم خارجياً، وتهيئة الظروف المناسبة لممارسة هذا النشاط في إطار المهمات الأساسية للنظام العربي الجديد للإعلام والاتصال.

6) إعطاء قضية التدفق الإعلامي بين الأقطار العربية الأولوية التي تتناسب مع أهميتها البالغة، والعمل على إزالة العوائق التي تعترض طريقها مع الأخذ في الاعتبار أن التدفق يتضمن المتجات الإعلامية والخبرات البشرية العربية العاملة في مجال الإعلام.

7) الحرص على ألا تؤدي الخلافات السياسية بين بعض الأقطار العربية إلى قف قنوات الاتصال بينها أو تقليلها بالنظر إلى أن الإعلام والاتصال من الحقوق الإنسانية الأساسية التي ينبغي الحفاظ عليها وتوفيرها لكل مواطن عربي.

8) إعادة النظر في قواعد الرقابة ووسائلها المعمول بها في الأقطار العربية المختلفة، على الأخص بالنسبة للمواد العامة الواردة من الأقطار العربية الأخرى، بحيث لا تعيق التدفق أو تعطل وصول المواد الإعلامية في الوقت المناسب.

9) الاعتناء باللغة العربية وتطويرها وتبسيطها، وتوزيع استخدامها على حساب اللهجات المحلية، واستكمال مراحل التعريب، حفاظاً على ثقافة الأمة العربية وذاتيتها القومية، خاصة أن اللغة العربية هي المقوم الأقوى في خصائص الأمة واستمراريتها.

10) الدعوة إلى قيام تنسيق وتكامل بين وسائل الإعلام ووسائل الثقافة في كل قطر وعلى نطاق الوطن العربي، بحيث تكمل وسائل الإعلام المهمات الثقافية المطروحة، وأن يراعى تخطيط مركزي لهذا التكامل، تجنباً لازدواجية العمل، ووصولاً لتعزيز الذاتية الثقافية وتعميقها وشموليتها.

11) دعوة وسائل الإعلام إلى تبسيط العلوم وعرضها لتكون مفهومة لدى أوسع الجماهير، وأن تهتم بنشر آخر المبتكرات العلمية والتطور العلمي وآفاقه المقبلة.

12) دعوة وسائل الإعلام ومؤسسات التربية إلى قيام تنسيق بينها، مبني على خطة شاملة وبرامج تنفيذية، بما يحقق تكامل عمل كل منها مع عمل الأخرى ودعوة المؤسسات التربوية التعليمية إلى مزيد من الاستفادة من إمكانيات وسائل الإعلام، واستخدامها في إنجاح العملية التربوية والتعليمية.

الظرف العربي الراهن وتأثيره على الثقافة والإعلام:

يعاني الواقع العربي – على مستوى رسمي وشعبي – واقعاً ممزقاً فيه التناحر السياسي الذي ينعكس على الواقع الثقافي والاقتصادي والاجتماعي والإعلامي في الوطن العربي.

وفي إطار واقع الإقليمية ترتفع، ومن ورائها تعلو أسواء العزلة الثقافية. فعلى سبيل المثال باتت البرامج التلفزيونية الأردنية والكتاب الأردني محاصراً وممنوعاً من الوصول إلى العديد من الدول الخليجية.

وتشهد وسائل الإعلام حرباً كلامية تستند إلى مصالح قطرية ضيقة، ومن خلال مواقف قسّمت العرب إلى عربين، عرب يقفون مع .... وهذا الواقع يجعل المواطن العربي يقف باحثاً عن الحقيقة، هل هي مع عرب أمريكا؟ أم عرب العرب؟ وهذا التساؤل لا يحتاج إلى إجابة.

ويقف المرء متسائلاً كيف يمكن أن تتحقق تلك المسؤوليات والالتزامات التي اقترحها خبراء الاتصال العربي كي نقدم إعلاماً صادقاً مسؤولاً ملتزماً بقضايا الجماهير العربية.

إن الواقع العربي الآن هو واقع نكوص وتراجع وتمزق، وستظل قضية المصداقية قائمة مع هذا الواقع الذي نعيشه، وندرك تماماً بأن الالتزام بالثوابت في مجال الثقافة والإعلام والنضال من أجل الالتزام بالثوابت المتمثلة بالحرية والصدق والأصالة وحق الاتصال إنما تمثل شرطاً أساسياً للنهوض القومي، وعلى الرغم مما نراه في قتامة الواقع إلا أننا ندرك بأن المستقبل هو للأمة العربية وأن أصالة الثقافة العربية تجعلها قادرة على تجاوز المحن.

الـهوامـش

1 د. تمام حسان "اللغة العربية معناها ومبناها" (القاهرة: دار المعارف 1985) ص .32.

2 د. إحسان عباس "تاريخ النقد الأدبي عند العرب" (بيروت: دار الثقافة 1978 ط 2) ص 35.

لمزيد من التفصيل حول ظاهرة الصدق في الأدب العربي، يمكن الرجوع إلى الكتب التراثية التالية:

- ابن طباطبا "عيار الشعر"
- عبدالقاهر الجرجاني "أسرار البلاغة"
- قدامة بن جعفر "نقد الشعر"
- المرزوقي "شرح الحماسة"
- الحاتمي "الرسالة الموضحة"
- ابن رشيق "كتاب العمدة"
- ابن بسام الشنتريني "الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة"
- حازم القرطاجني "منهاج البلقاء وسراج الأدباء"

3 د. محمد النويهي "وظيفة الأدب بين الالتزام الفني والانفصال الجمالي" (القاهرة: معهد البحوث والدراسات العربية 1966 – 1977) ص.ص (48-49).

4 د. محمد زكي عشماوي "قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث" (بيروت: دار النهضة العربية 1984) ص 15.

5 د. مصطفى حجازي وآخرون "ثقافة الطفل العربي بين التغريب والأصالة" (الرباط: المجلس القومي للثقافة العربية، 1990) ص .17.

6 المصدر نفسه ص .19

7 المصدر نفسه ص .21

8 هيرسكوفتز وياسكوم "مشكلة الاستقرار والتغيير في الثقافة الافريقية" في كتاب "الثقافة الافريقية: دراسات عناصر الاستمرار والتغيير" وليم باسكوم وملفيل سكوفتز (محرران)، ترجمة عبدالملك الناشف (بيرت – المكتبة العصرية 1966) ص .22

9 د. عبدالله عبدالدايم "في سبيل ثقافة عربية ذاتية: الثقافة العربية والتراث" (بيروت: دار الآداب 1983) ص 26.

10 مصطفى حجازي وآخرون (سبق ذكره) ص .18

11 برهان غليون "اغتيال العقل: محنة الثقافة العربية بين السلطة السلفية والتعبية" (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر 1987) ص.ص 82-.83

12 المصدر نفسه ص 83.

13 المصدر نفسه ص.ص 85-86.

14 المصدر نفسه ص .88

15 صالح أبو اصبع "قضايا إعلامية" (دبي: دار البيان 1988) ص .230

16 سعد لبيب "دراسات في العمل التلفزيوني العربي" (بغداد: مركز التوثيق الإعلامي لدول الخليج لاعربي 1984) ص .39

17 حجازي وآخرون (سبق ذكره) ص .28

18 المصدر نفسه ص .28

19 السياسات الثقافية لمؤتمر الوزراء والمسؤولين عن الشؤون الثقافي في الوطن العربي (تونس: المنظمة العربية للتربية والعلوم والثقافة 1981) ص 263.

20 Marshal Mcluhan; Understanding Media: The Extentions of Man (New York; McGraw – Hill Book 1965) p.7

21 عبدالهادي هاشم "نحو ثقافة عربية أصيلة" محاضرات الموسم الثقافي الخامس (الكويت: مطبعة دولة الكويت 1959) ص.ص 115-136.

22 حجازي وآخرون (سبق ذكره) ص 30.

23 امانويل بوشيا دامس "التنمية الثقافية: تجارب إقليمية" (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر 1983) ص 194.

24 هيرسكوفتز وباسكوم (سبق ذكره) ص 12.

25 المصدر نفسه ص 12.

26 د. فؤاد شاهين "علم الاجتماع ومفهوم الثقافة" (مجلة الفكر العربي، العدد 14، السنة 2، آذار – نيسان 1980) ص.ص 62-63.

27 أمانويل بوشيا دامس (سبق ذكره) ص 195.

28 برهان غليون (سبق ذكره) ص 106.

29 د. رحانكيكار (ترجمة فائق فهيم) "تدفق المعلومات من الدول المتقدمة والنامية" (الرياض: دار العلوم للطباعة والنشر 1982) ص 88.

30 سعد لبيب (سبق ذكره) "دراسات في العمل التلفزيوني العربي" ص 790.

31 شون ماكبرايد ورفاقه "أصوات متعددة وعالم واحد: الاتصال والمجتمع اليوم وغداً: (الجزائر: اليونسكو / الشركة الوطنية للنشر والتوزيع 1981) ص 85.

32 المصدر نفسه ص.ص 82-83.

33 انظر

Dwight Mgcdonald, "A Theory of Mass Culture" in Bombard Rosenberg and David White (eds) (New York; The Free Press, 1975).

Blak & Heroldsen; "A Texonomy of Concepts in Communication" (New York: Hastings House 1979)

جيهان رشتي "الأسس العلمية لنظريات الإعلام" (القاهرة: دار الفكر العربي، د.ت) ص.ص 421-422.

د. صالح أبو أصبع (سبق ذكره) ص 234.

34 Rivers, William and wibur schramn; Clifford G. Christian Responsibility in Mass Communication New York Harpes and Row 1980.

35 د. صالح أبو أصبع / سبق ذكره ص .234

36 ماكبرايد / سبق ذكره ص 84.

37 د. صابر فلحوط وسجاد الغازي، الاتحاد العام للصحفيين العرب: تأسيسه، مؤتمراته، قراراته (بغداد: الاتحاد العام للصحفيين العرب، 1983) ص. ص 12-13.

38 المصدر نفسه ص.ص 124-125.

39 اللجنة العربية لدراسة قضايا الإعلام والاتصال في الوطن العربي "الإعلام العربي حاضراً ومستقبلاً: نحو نظام عربي جديد للإعلام والاتصال" (تونس: المنظمة العربي للتربية والثقافة والعلوم 1987).

40 فريدة النقاش "حول التبعية الثقافية، الإعلامية، وإمكانية الخروج منها" (مجلة أب ونقد، العدد السابع، السنة الأولى 1984) ص 12.

41 Daniel Boorstin The Image (New York: Atheneum Publish ers, 1962) P.P.2 – 12.

42 جريدة الرأي العدد (8119) بتاريخ 1992/11/1.

43 فريدة النقاش (مصدر سبق ذكره) ص 18.

44 د. عبدالباسط عبدالمعطي "الإعلام وتزييف الوعي" (القاهرة: دار الثقافة الجديدة 1979).

45 انظر د. صالح أبو أصبع: "النشر العلمي: أزمة نشر أم أزمة بحث" (مجلة الناشر العربي – العدد السادس عشر – يناير 1986) وفيه إشارة إلى السرقات العلمية، ومن سخريات القدر أن تكون هذه المقالة التي تعرضت للسرقات العلمية أن تكون هي ذاتها موضعاً للسطو عليها من قبل أستاذ جامعي.

46 غليون (سبق ذكره) ص 47.

47 اللجنة العربي لدراسة قضايا الإعلام والاتصال (مصدر سبق ذكره) ص 190.

48 المصدر نفسه ص.ص 194–202.

المراجع وكتب مختارة

أولاً: باللغة العربية

1. ابن بسام الشنتريني "الخبرة في محاسن أهل الجزيرة".
2. ابن رشيق "كتاب العمدة.
3. ابن طباطبا "عيار العشر".
4. أبو أصبع "د. صالح"، قضايا إعلامية (دبي: دار البيان 1988).
5. باسكوم "وليم" وهريسكوفتز "ملفيل"، محرران، ترجمة عبدالملك الناشف الثقافة الإفريقية: دراسات في عناصر الاستمرار والتغير (صيدا – بيروت: المكتبة العصرية 1966).
6. الحاتمي "الرسالة الحاتمية"
7. حازم القرطاجني "منهاج البلقاء وسراج الأدباء".
8. حجازي "د. مصطفى" وآخرون، ثقافة الطفل العربي بين لاتغريب والأصالة (الرباط: المجلس القومي للثقافة العربية).
9. الدائم "د. عبدالله"، في سبيل ثقافة عربية ذاتية: الثقافة العربية والتراث (بيروت: دار الآداب 1983).
10. رشتي "د. جيهان"، الأسس العلمية لنظريات الإعلام (القاهرة: دار الفكر العربي).
11. شاهين "د. فؤاد"، علم الاجتماع ومفهوم الثقافة (مجلة الفكر العربي، العدد 14 السنة 2 آذار – نيسان 1980).
12. عباس "د. إحسان"، تاريخ النقد الأدبي عند العرب: نقد الشعر من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري (ط2) (بيروت: دار الثقافة 1978).
13. عبدالرحمن "د. عواطف"، قضايا التبعية الإعلامية والثقافية في العالم الثالث (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب 1984).
14. عبدالمعطي "د. عبدالباسط"، الإعلام وتزييف الوعي (القاهرة: دار الثقافة الجديدة 1979).

15. عبدالقاهر الجرجاني "أسرار البلاغة".
16. فياض توفيق"محرر، التكامل بين أجهزة الإعلام وأجهزة الثقافة في الوطن العربي (تونس: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم 1984).
17. قدامة بين جعفر "نقد الشعر".
18. لبيب "سعد" دراسات في العمل التلفزيوني العربي (بغداد: مركز التوثيق الإعلامي لدول الخليج العربي 1984).
19. اللجنة العربي لدراسة قضايا الإعلام والاتصال في الوطن العربي: الإعلام العربي حاضراً ومستقبلاً: نحو نظام عربي جديد للإعلام والاتصال (تونس: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم – تونس 1987).
20. لوفير "هنري" (ترجمة مصطفى صالح)، اللسان والمجتمع (دمشق: منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي 1983).
21. ماكبرايد "شون" ورفاقه، أصوات متعددة وعالم واحد: الاتصال والمجتمع اليوم وغداً – (تقرير اللجنة الدولية لدراسة مشكلات الاتصال (الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع 1981).
22. مانيكيار "د.ر" (ترجمة فائق فهيم) تدفق المعلومات بين الدول المتقدمة والنامية (الرياض: دار العلوم للطباعة والنشر 1402هـ – 1982م).
23. المرزوقي "شرح الحماسة".
24. مرقس "إلياس" العقلانية والتقدم (الرباط: المجلس القومي للثقافة العربية 1992).
25. مصطفى "د. شاكر"، عالم الثقافة المختلفة (عالم الفكر، المجلد التاسع عشر، العدد الأول، ابريل – مايو – يونيو 1988).
26. فلحوط "د. صابر" وسجاد الغازي، الاتحاد العام للصحفيين العرب: تأسيسه مؤتمراته، قراراته (الاتحاد العام للصحفيين العرب 1982).

27. المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، مؤتمر الوزراء والمسؤولين عن الشؤون الثقافية في الوطن العربي، الدور الثالث (تونس: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم 1981).
28. النقاش "فريدة" حول التبعية الثقافية والإعلامية وإمكانيات الخروج منها (مجلة أدب ونقد: العدد السابع، السنة الأولى، سبتمبر 1984).
29. النويهي "د. محمد"، وظيفة الأدب: بين الالتزام الفني والانفصال الجماهيري (القاهرة: معهد البحوث والدراسات العربية 1966 – 1967).
30. هاشم "د. عبدالهادي"، "نحو ثقافة أصيلة" محاضرات الموسم الثقافي الخامس (الكويت: مطبعة الكويت 1959).
31. واثينفو، نفوجي، (ترجمة سعدي يوسف) تصفية استعمار العقل (بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية 1987).
32. اليونسكو (لفيف من خبراء اليونسكو)، التنمية الثقافية: تجارب إقليمية (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر 1983).

ثانياً: باللغة الإنجليزية:

1. Blake & Heroldsen; A Taronomy of Concepts in Communication
(New York: Hastings House: 1979).
2. Boorstin, Daniel; The Image
(New York: Atheneum Publishers, 1962).
3. McLuhanb, Marshal; Understaning Media: The Extensions of Man
(New York: McGraw – Hill Book, 1965).
4. Rivers; William and Wibur Schramn; Clifford G. Christian Responsibility in Mass Communication
(New York, Harper & Row 1980)

5. Rosenberg, Bernard and David White (eds); Mass Culture: The Popular Arts of America
(New York: The Free Press 1975).

الفصل الثالث

أجندة للعلاقة

بين الثقافة والاتصال الجماهيري

في الأردن

____

* المؤتمر الثقافي الوطني الأردني (مستقبل الثقافة والفنون) 1-2004/6/3 * عمان – الأردن

(إن المسؤولية الملقاة على عاتق وسائل الإعلام الجماهيرية مسؤولية هائلة –سواء كان ذلك خيراً أم شراً– ذلك أنها لا تقوم بمجرد نقل الثقافة ونشرها بل بانتقاء محتواها أو ابتداعه). **(تقرير اليونسكو–أصوات متعددة وعالم واحد)**

من معوّقات الثقافة التي يمكن اعتبارها في الطليعة، وهي ترتدّ إلى كون الثقافة في البلاد العربية ما تزال تحتلّ مرتبة ثانوية من اهتمامات الدولة بالقياس إلى الأمور الأخرى. إن كثيراً من الدول العربية، في مقابل ضنّها على النشاط الثقافي، تسخو سخاء حاتمياً على قطاع الرياضة أضعاف

ما تنفقه لأنشطة الثقافة، والواقع يشير إلى أن عناية معظم الحكومات العربية بالمكتبات الوطنية ومراكز الثقافة والمسارح ونشر التراث، تأتي في مقام ثانوي بالنسبة إلى عنايتها بالأمور الأخرى.

(الخطة الشاملة للثقافة العربية)

الفصل الثالث

أجندة للعلاقة بين الثقافة والاتصال الجماهيري في الأردن*

- **1- مدخل:**

لا تزال الثقافة تحتلّ مرتبة ثانوية من اهتمامات الدولة، بالقياس إلى الأمور الأخرى. ولعل هذا المؤتمر يشير إلى بداية جديدة لفتح ملف الثقافة، والعمل على إنجاز مشروع يسهم في إيجاد آليات دعم العمل الثقافي وتفعيله، ترعاه الحكومة، بعد أن تم إلغاء وزارة الثقافة، وبقاء وضعها ووضع العمل الثقافي معلقا منذ تشكيل الوزارة الجديدة .

ونكاد لا نجد قطراً عربياً واحداً لا يعاني من أزمة ما في العمل الثقافي، ولعل مرد الأمر لأكثر من سبب:

- بعضها يرتبط بالموقف الرسمي الحكومي الذي يجعل الثقافة في ذيل أولوياته.
- وبعضها يرتبط بنظرة دونية وقاصرة عن فهم الدور الحقيقي الذي تلعبه الثقافة في بناء المجتمع وتعزيزه وتنميته وتغييره.
- وبعضها يرتبط بتكليف ملفات الثقافة لمسئولين لا علاقة لهم بالثقافة من أهل الحظوة والثقة ويتم استبعاد أهل الخبرة والإبداع.
- وبعضها الآخر يرتبط برؤية وسائل الاتصال الجماهيري للثقافة ودورها في المجتمع التي تركز على جانب الترفيه استجابة لمتطلبات السوق التنافسي لكسب الجمهور.
- والبعض الآخر يرتبط بنوعية العاملين في مجال الثقافة والاتصال.
- والبعض يرتبط بأسلوب التربية والتعليم.
- والبعض يرتبط بالبيئة المحلية وسماتها من حيث درجة الانفتاح والحرية والتسامح والديمقراطية التي تشكل حاضنة وصانعة للثقافة.

- والبعض يرتبط بالبيئة الخارجية التي تشكل ظرفا من ظروف المنافسة والضغوط والتفاعل.

إذن أزمة الثقافة أزمة مركبة أطرافها عديدة بدءاً من الحكومة ومروراً بالمنتج الثقافي والمنتج وانتهاءً بالمتلقي والمجتمع.

إن الوصول إلى حركة ثقافية فاعلة وصحية مشروط إلى حد كبير بفهم تلك العوامل المؤثرة فيها، ومرتبطة بنوايا مخلصة وإرادة فاعلة من عدة أطراف تستطيع توفير الإمكانيات لقنوات العمل الثقافي.

إن قصور الرؤيا لدى البعض في اعتبار العمل الثقافي عملاً ثانوياً ورفاهية تكميلية في المجتمع هي من أخطر الأمور التي تحد من دور الثقافة في بناء مجتمع حضاري متقدم. إن وجود نظرة متوازنة لدى الدولة في سياق سياساتها وخططها التنموية في المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية والعلمية سيقود إلى إنماء للإنسان هدف التنمية وصانعها .

والمتابِع للنشاط الثقافي في الأردن خلال الأعوام الأربعة الأخيرة يمكنه أن يجد تقدماً مطرداً في الأنشطة الثقافية، تسهم فيه بعض المؤسسات التي كان لها فضل السبق في الأنشطة كمؤسسة عبد الحميد شومان، و أمانة عمان الكبرى التي خلال السنوات الخمسة الماضية؛ ولعبت دوراً موازياً ومواتياً لدور وزارة الثقافة اتسع عملها ونشاطها الثقافي في تنظيم الأنشطة الثقافية وتمويلها أو دعمها أو رعايتها.

وكان الاحتفاء بعمان عاصمة للثقافة العربية تعزيزاً للأنشطة الثقافية وخصوصاً في مجال النشر.

ويكفي أن نقارن في هذا المجال أرقام المطبوعات بين الأعوام من 1999-2003 التي عرضت للإجازة من قبل دائرة المطبوعات والتي أودعت في المكتبة الوطنية وهي كما يلي:

عام	عدد المخطوطات المجازة	عدد المودع لدى دائرة المكتبة الوطنية	المخطوطات مجهولة المصير
1999	1678		
2000	2174		
2001	2439		
2002	2892	1093	1799
2003	2698	2263	435

ويجدر بالذكر أن عدد المجاز من المطبوعات لا يعني نشرها، كذلك لا يمثل الإيداع لدى دائرة المطبوعات يمثل حقيقة ما تم طبعه، فعلى سبيل المثال بلغ مجموع الإبداعات عام 2002 لدى المكتبة الوطنية 1093 كتاباً بفارق 1799 مخطوطاً عما تم إجازته وفي عام 2003 بلغ مجموع الإبداعات 2263 بفارق 435 مخطوطاً عما تم إجازته. ويرجع الفارق الكبير لأكثر من سبب، إذ أن بعضها يتم إجازته، لكنه لا يصنف في المكتبة الوطنية وبعضها لا يودع لدى المكتبة الوطنية بعد طباعته والبعض الآخر لا يطبع أصلاً.

ويلفت الانتباه إلى تراجع عدد المخطوطات في العام الماضي إذ نقص عن سابقه بمائتي مخطوط وهو رقم كبير في عالم النشر الأردني.

ولعل التفسير في ذلك أن الأعوام الثلاث السابقة شهدت قوة دفع مرتبطة بالاحتفاء بعمان عاصمة للثقافة العربية، ولا يفوتنا القول أن الأنشطة الفنية من مسرح وفنون تشكيلية وأنشطة المؤتمرات والندوات الفكرية والثقافية ارتبطت بمؤسسات القطاع الخاص، ولعبت الجامعات الأهلية دورا هاما خصوصا تلك التي تنظم الندوات، والمهرجانات الفنية، والمؤتمرات الثقافية، وتقدم الجوائز الثقافية، وتساهم في نشر محدود للكتب، كجامعة فيلادلفيا، وجامعة البترا وجامعة الزرقاء وغيرها.

ولكن وضع الثقافة في الأردن يطرح تساؤلاً هاماً حول الصلة بين الثقافة ووسائل الاتصال الجماهيري؟ ولمقاربة هذا التساؤل فإننا سنبدأ بالإجابة عن بعض الأسئلة الأساسية مثل: ما الاتصال الجماهيري؟ وما هي وظائفه؟ وما المقصود بالثقافة؟ وما هي أنواعها؟ وما الأسس التي يجب أن ينبني عليها العمل الثقافي؟ وما هي طبيعة العلاقة بين الثقافة والاتصال الجماهيري وما هي مرتكزاتها ؟ وما هي التحديات الثقافية والاتصالية التي تواجه المجتمع؟ وهل هناك أزمة في تناول الموضوع الثقافي عبر وسائل الاتصال الجماهيري؟ وما هي مسئولية الدولة تجاه العمل الثقافي؟ ثم سنقترح أجندة للعمل الثقافي في سياق علاقتها التفاعلية والتكاملية مع وسائل الاتصال الجماهيري متمثلة بمجموعة من التوصيات.

- **2 – <u>الاتصال الجماهيري:</u>**

2-1 تعريف الاتصال الجماهيري:

هو الاتصال الذي يقوم بتوصيل الرسائل التي تنقل الثقافة والمعارف والمعلومات والترفيه، إلى جمهور عريض متباين الاتجاهات والاهتمامات، ومختلف من حيث المستويات التعليمية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية والخصائص الديمغرافية، ولأفراد غير معروفين للقائم بالاتصال، تصلهم الرسالة حيثما كانوا، في نفس اللحظة وبسرعة مدهشة، ويتم باستخدام معدات ميكانيكية أو إلكترونية مثل؛ الصحف والمجلات والكتب والإذاعة والتلفزيون والصحافة والسينما والإنترنت والهاتف المحمول . مع مقدرة على خلق رأي عام ، وعلى تنمية اتجاهات وأنماط من السلوك غير موجودة أصلاً .

2-2 وظائف وسائل الاتصال الجماهيري:

قاد تقدم تقنية المعلومات الرقمية في الاتصال الجماهيري -التي تستخدم في الإنترنت والبث الفضائي ووسائل الإعلام الأخرى- إلى أن أصبحت وسائل الاتصال ذات إمكانيات كبيرة في نقل وضخ وتخزين المعلومة والخبر، وفي تقديم الترفيه والثقافة والفنون، وفي نقل التراث وتعزيزه ، وتشكيل الرأي العام، إذ تفسح المجال للحوار حول بعض القضايا وتفتح النوافذ على مصراعيها أمام البشر ليطّلعوا على تجارب الشعوب الأخرى وثقافاتها وفنونها، وتقترن هذه المهمات بالسيطرة على تدفق المعلومات وتداولها ونشر الأفكار والحوار حولها.

إن تشبيك العالم عبر القنوات الفضائية والإنترنت التي تبث عبر الحدود والأخبار والمعلومات والأفلام والبرامج التلفزيونية والمسلسلات الدرامية والإعلانات والفنون الجميلة بكل ما تحمله تلك الأشكال والمضامين من قيم

لها تأثيرها في المجتمع وثقافته ، تقودنا إلى استحضار وظائف وسائل الاتصال الجماهيري كما حددتها وثيقة اليونسكو (أصوات متعددة وعالم واحد) وهي:

الإعلام والتنشئة الاجتماعيةوخلق الدوافع والحوار والنقاش والتربيةوالنهوض الثقافي والترفيه والتكامل والاندماج وإشباع حاجة الجماعات والمجتمعات ككل من المعلومات والبيانات (أصوات متعددة وعالم واحد، شون ماكبرايد 1981: 51-53).

ويتضح لنا من خلال هذه الوظائف مدى تشابكها مع العمل الثقافي. إذ أن المنجز الثقافي يرتبط بالوظيفة الإعلامية التي تحقق للمثقف والمبدع فهمه للظروف الإنسانية، كما أنه يرتبط ارتباطا وثيقا بوظيفة التنشئة الاجتماعية والتربية ووظيفة الحوار والنقاش التي تسهم في خلق مناخ ملائم للإبداع ، ناهيك عن وظيفتي النهوض الثقافي والترفيه .

3- مفهوم الثقافة ومرتكزاتها وأنواعها :

3-1 مفهوم الثقافة :

في السياق الذي نقدمه لن ندخل في إطار سوق التعريفات المختلفة للثقافة، بما فيها من تعريفات تدخل في السياق الأنثروبولوجي، ولكن مفهوم الثقافة سنقصره في السياق العملي والذي يعني: المنتجات الأدبية والفكرية والفنية وهي بذلك تشمل الأعمال الأدبية والفكرية والمسرحية والفنون الجميلة من موسيقى وغناء ورقص، ورسم ونحت وفولكلور إلخ.

والثقافة هي ما يميز البشر عن غيرهم من المخلوقات وهي الجانب الذي يؤكد إنسانيتهم ويُبرز هويتهم الخاصة والمعبرة عن حضارتهم في أرقى صورها ، وهي عامل توحيد بين أبناء الشعب الواحد ، وعامل أساسي في

تغيير المجتمعات والتعبير عن طموحاتها وأحلامها ، وهي رسالة تفاهم بين شعوب الأرض.

3-2 مرتكزات الثقافة :

ترتكز الثقافة العربية على جملة مبادئ أقرتها الخطة الشاملة للثقافة العربية ومن أهم هذه المبادئ :

1- أن الثقافة هي من إبداع الشعب الذي ترتبط به وتعود إليه ، وحياة الشعب هي المنبع الأساسي لكل إبداع ثقافي ولكل استمتاع وهي تستمد قوتها وإبداعها وتطورها المستمر من الحياة النابضة بالحيوية للمبدعين فيها .

2- إن الثقافة هي ما يميز أمة من غيرها ، لذا فإن تنمية الثقافة العربية تنمية تميز أبناءها والعاملين عليها وتعطيها دورها الخاص في النشاط القومي والإنساني لهو أحد المبادئ التي تقوم عليها الخطة .

3- حق الإنسان في اكتساب الثقافة ، وفي حرية التعبير عنها ، والتمتع بها . وهذا يعني تفتيح الآفاق أمام المبدعين ، والالتزام بنشر إنتاجهم للجماهير الواسعة.

4- إن التراث الحضاري الإسلامي هو الركن الأساسي في تكوين الثقافة العربية والنبع الأصيل فيها عقيدة وقيما وتشريعا ، وهو الذي يميزها من الثقافات الإنسانية الأخرى .

5- إن الصلة بين اللغة العربية والفكر الإسلامي تفوق كل صلة بين أية لغة وأي تفكير تعبر عنه تلك اللغة. وهكذا فإن الفكر الإسلامي هو المقوّم الأساس في معمار الثقافة العربية واكتمال صرحها.

6- ديمقراطية الثقافة ، تعني الحق الإنساني في المشاركة الفردية والجماهيرية الواسعة على السواء ، في مجالي إنتاج الثقافة والإفادة منها.
(الخطة الشاملة للثقافة العربية ص: 49)

3-3 أنواع الثقافة:

ومن ثم يمكننا الحديث عن ثلاثة أنواع من الثقافة.

1. ثقافة الصفوة .
2. الثقافة الشعبية .
3. الثقافة الجماهيرية .

يفرق الباحثون في مجال الثقافة بين ثلاثة أنواع من الثقافة: **الثقافة الراقية** High Culture **والثقافة الشعبية** Popular Culture **والثقافة الجماهيرية** Mass Culture.

والثقافة الراقية هي: ثقافة الصفوة التي سجلت في الكتب الدراسية والأدبية والفنية، وفي الأعمال الفنية الراقية والتي أنتجت للنخبة المتعلمة.

أما الثقافة الشعبية فهي: تتسم بالتلقائية التي يصنعها الشعب وتنمو نمواً من أسفل تصنعها الجماهير لتعبر بها عن نفسها من خلال مواهب طبيعية لدى الفنان الشعبي الذي يكون مجهول الهوية.

أما الثقافة الجماهيرية فهي: الرسائل الاتصالية التي تبثها وسائل الإعلام كالإذاعة والتلفزيون والسينما وكتب التسلية والقصص وأشرطة واسطوانات التسجيلات الصوتية والمرئية، وهي غير موجهة إلى طبقة محددة، ولا إلى مستوى ثقافي أو تعليمي محدد. وتستمد مضمونها من الثقافتين الراقية والشعبية، وهي منتج معد للاستهلاك الجماهيري ، وتتسم بالتماثل وتعمل

على إرضاء أذواق الجماهير وتعمل على توحيدها، وهي ثقافة مُصطنعة مفروضة على الجماهير من أعلى.

يعتمد مضمون الثقافة الجماهيرية على الأغنية والتمثيلية والفيلم، وهو مضمون في أغلبه ترفيهي يخضع لقانون السوق التجاري. ويستدعي تبسيطاً وتسطيحاً للثقافة، ويهدف إلى اقتناص أكبر عدد ممكن من الجمهور عن طريق هذا المضمون الترفيهي.

وتتعايش الثقافات الثلاث معا،وتتنوع أقنية اتصالها من الاتصال الشخصي والاتصال الجمعي والاتصال الجماهيري . وتلعب وسائل الإعلام دورها في نقل هذه الثقافات، مما يجعل فهم طبيعة العلاقة بينهما أمرا لا مناص منه، لإدراك الدور التفاعلي الذي يحكم طبيعة العلاقة بينهما .

4- العلاقة بين الثقافة والاتصال الجماهيري في ظل التحديات الثقافية والاتصالية التي تواجه المجتمع:

يدعو التطور التكنولوجي في مجال المعلومات والاتصال إلى الخشية من سطوته وتأثيره على المجتمعات لتصبح نمطا موحدا ومشتركا بين شعوب العالم. إذ يسهم تدفق الاتصال – بالطريقة التي أصبحت متوفرة عبر الإعلام الفضائي والبث الرقمي – في توفير المعلومات بشكل لم تعرفه البشرية من قبل ،. وأضحت المعلومات غزيرة كميا ونوعيا بحيث توفر لأي متخصص أن يتابع معه كل ما يستجد في حقل تخصصه.

ولا شك أن وفرة المعلومات وسهولة الوصول إليها وفيضانها ، سوف تطرح تحديات متعددة على المجتمع بعضها داخلي وبعضها خارجي من مثل:

1. تأثير الثورة التكنولوجية ومنجزاتها وتطورها المستمر في الإنسان وثقافته وعلاقاته الإنتاجية القديمة، وفي خلق فجوات بين من يمتلك التكنولوجيا ومن لا يمتلكها، ومن يصنعها ومن يستهلكها.

2. تقود الثورة المعلوماتية إلى انفجار معرفي على مستوى عالمي ، يهيمن العالم الغربي عليها بامتلاكه تقنيات الاتصال والقدرة على إنتاج المعلومات والسيطرة على منافذها وتوزيعها ، بينما تعاني دول العالم العربي والإسلامي من تخلف في بناها ، وقصور إمكانياتها في التعاطي مع الثورة المعلوماتية ، وخصوصاً ثورة الإنترنت ، وبحيث تصبح بلادنا مجرد مستهلك للإنتاج الثقافي العربي .

3. تنتج الهيمنة الغربية على تدفق الاتصال وعلى وسائله ، ومنتجاته الإعلامية تشويهاً لمواقف العالم العربي والإسلامي وخلق صور نمطية مشوهة عنه مثل الصور الحالية التي تربط العرب والإسلام بالإرهاب .

4. المعاناة من التخلف والفقر والأمية مما ينتج عنها فقر ثقافي وتعليمي وإبداعي .

5. نقص الحريات والافتقار إلى الممارسة الشعبية الديموقراطية السياسية والاقتصادية .

وقاد تطور تقنيات الاتصال إلى تغيير المشهد الإعلامي والثقافي العربي.إذ أن ممارسات إعلامية جديدة تتشكل في الأفق لتخلق أنماطاً جديدة من الثقافة والاتجاهات وأنماط الحياة الاجتماعية.

ومن ناحية فكرية بات المشهد الإعلامي العربي تتنازعه أطر مرجعية مختلفة عروبية / إسلامية / ووطنية / وقطرية/ ليبرالية.

ومن ناحية استخدام وسائل الاتصال الحديثة فقد انتشر استخدام اللواقط الفضائية حتى في الأوساط الشعبية ذات الدخل المحدود ، وانتشر الإنترنت

سريعا إذ بلغ عدد المشتركين في الأردن ممن لهم حسابات اشتراك مباشر مع مزودي خدمات الإنترنت 80.000 مشترك، وبلغ عدد المستخدمين 320000 مستخدم، وذلك بناء على تقديرات مركز تكنولوجيا المعلومات الوطني. وقد ازدهرت خدمات (مقاهي الإنترنت) في الأردن ، وهذا يعني أن الفضائيات والإنترنت والهاتف الجوال أصبحت وسائل اتصال جماهيرية ستقود إلى نمط سلوكي واجتماعي وثقافي جديد.

إن العلاقة بين وسائل الاتصال الجماهيري والثقافة الجماهيرية علاقة تفاعلية، إذ تضخ هذه الوسائل مضامين الثقافة كمنتجات موجهة إلى سوق الاستهلاك الجماهيري. وتشكل هذه الثقافة قيمها وأجندتها التي تفرض نفسها على جمهور المتلقين وعلى المتصلين أنفسهم.

لقد أصبحت المسلسلات التلفزيونية والأفلام تكرس شخصية السبَّاك الجاهل الذي يمتلك الثروة كشخص مقبول للزواج من طبيبة أو مهندسة. وأصبحت الرياضة –على سبيل المثال– سوقاً رائجاً لدى الإعلاميين، لأن لها شعبيتها، وهذه الشعبية أصلا يتم تغذيتها من خلال وسائل الإعلام التي توصلها للجماهير ،وهكذا نجد أن وسائل الاتصال الجماهيري تغطي أي حدث رياضي بتفاصيله بينما لا تلقى الأنشطة الثقافية الاهتمام أو التغطيات التي تستحقها.

وهكذا تقوم وسائل الاتصال الجماهيري بترتيب الأولويات وبناء المسرح وتحديد الممثلين عليه وتطالب الجمهور بالمشاهدة، بأسلوب يمتاز بالمحاصرة والتكرار ، مما يجعل الجمهور يقبل على هذه البضاعة الجماهيرية التي تعرض أمامه –وأحياناً بدون وجود اختيارات كبيرة حتى

وإن تعددت الوسائل الإعلامية أو اختلفت فإن مضامينها تكاد تكون متشابهة، فهي ترفيه ومزيد من الترفيه.

ويبقى التساؤل التالي مشروعا :هل تتبع وسائل الاتصال الجماهيرية من ديناميات نابعة من المجتمع نفسه؟ أم أنها استجابة للتحدي للعولمة الاتصالية؟

وبمراجعة لما تقدمه وسائل الاتصال الجماهيرية من برامج فإن أي مراقب محايد سيلاحظ حجم الترفيه فيما يبثه التلفزيون ،وسيلاحظ كذلك حجم ما يقدم من برامج غربية تؤدي إلى السلبية والانعزال، وتؤدي إلى تجذير النمط الاستهلاكي عند الناس، وإلى غرس أنماط من السلوك غريبة عن قيم المجتمعات العربية. وتؤدي هذه النماذج –التي تشكل مثلاً أعلى ونماذج للتفوق الأسطوري– إلى خلق ثقافة الهروب والعزلة والاستلاب.

ولا نغالي إذا قلنا بأن أهم المشكلات التي تواجه الثقافة الجماهيرية الآن هي سيطرة الترفيه على مضمون برامج الاتصال الجماهيري، في المقابل نجد أن المواد الثقافية التي تقدمها–التي تحسب على الثقافة الراقية – سطحية للغاية.

وأشار تقرير اليونسكو إلى هذا المأزق إذ يرى أن هذا الترفيه (... مبتذل ونمطي بدرجة تجعله يحد من الخيال بدلا من أن يثيره. وتحمل تأثيرات المصالح التجارية والإعلانية وكذلك ما يقره البيروقراطيون من كل نوع من التزام ثقافي عقيم، مخاطر تسطيح وإفقار وتجويف الحياة الثقافية، وليست هذه هي أوجه التناقض، ففي بعض الأحيان أدت الفرص الجديدة المتاحة

إلى إثارة الإبداع الخلاق لدى الأفراد، وأدت في أحيان أخرى إلى تشجيع التقليد والسلبية لدى الجمهور.)

عالمي، مستوى على تنافسية طبيعة ذات الإعلامية الأنشطة لقد باتت شبكات وتقدم ذلك، على مثالا التليفزيونية الفضائية وأصبحت المحطات التنافس فإن الأخذ بعالمية ولذا هذه العالمية، على مثلاً أيضا الإنترنت مؤسسة إعلامية مما له تأثيره على أي حسابات في لازمة ضرورة الإعلامي نوعية الأداء وإبداعه وظروف حرياته. ويشكو العمل التلفزيوني من نقص واضح في الإمكانيات التي تتوفر لإنتاج برامج ثقافية راقية مثلما تقدم محطات مثل :

National Geography&Discovery Channels, Animals

ولقد نقلت الفضائيات العربية إلى الساحة العربية أشكالا فنية عديدة من التلفزيونات الأجنبية، فقد تم استنساخ العديد من البرامج الأجنبية بقناع عربي، من خلال إنتاج برامج مسابقات وبرامج المواهب الفنية، وبرامج تلفزيون الواقع، مثل برامج من سيربح المليون، والحلقة الأضعف، وتحدي الخوف ،وسوبر ستار، وستار أكاديمي وغيرها، ولعل أفضل ما تم استنساخه البرامج الحوارية (مثل الاتجاه المعاكس)، لما وفرته من فرص حوار بين أطراف مختلفة الرأي لم يعهدها المشاهد العربي من قبل .

وتعتمد برامج وجهات النظر الحوارية التي تقدم (الرأي والرأي الآخر) في كثير منها منطق الرقابة الذاتية، معتمدة على موازين القوى الداخلية والسياسية للمجتمع، بالإضافة إلى تدخل مباشر باختيار من يشارك مباشرة

في الحوار، أو سيتدخل هاتفيا في الحوارات، وذلك بناء على ترتيب مسبق من معدي البرامج مع الذين يشاركون فيها.

ويقود عدد محدود من الفضائيات العربية الآن المسيرة الإعلامية العربية تجد صداها في التلفزيون الأردني، ويتمثل ذلك في تنميط أشكال معينة من الاتصال: ففي المجال الإخباري – السياسي، تقف الجزيرة والعربية نموذجا بارزا، وتقف المستقبل و LBC نموذجا للمحطات الشاملة المنوعة، وتقف محطة روتانا وميلودي مثالا للمحطات الموسيقية والغنائية . وهذه النماذج تترك بصماتها في التأثير في المحطات التلفزيونية الأرضية والفضائية على حد سواء.

ويشكو التلفزيون الأردني من نقص واضح في خبرة مقدمي البرامج الثقافية والحوارية ومعدّيها. فغالبية مقدمي ومقدمات البرامج بغض النظر عن خصائصهم البدنية والمظهرية (المظهر الجسدي والصوت، والزي) يفتقرون إلى شخصية الصحفي المتكامل صاحب الخبرة العملية والثقافة الواسعة ولا يمتلكون أدوات المواجهة مع الكاميرا والتعامل مع الضيوف ولا يتعاملون بأسلوب الفريق في إعداد البرامج. وقد أشارت وثيقة الأردن أولاً (ص 27) إلى بند التحديات التي يواجهها الإعلام الأردني ((لقد سجل الإعلام الأردني إنجازات مهمة على مختلف الصعد والمستويات بيد أن هذه الإنجازات لا تقلل من شأن التحديات التي تجابه هذا القطاع، فالحاجة ماسة لتمكين الإعلام الوطني المرئي والمسموع والمقروء من مواجهة ما يعانيه من أزمة في الخطاب وضعف في المصداقية وتمكينه من تدارك

التراجع في تأثيره محلياً وخارجياً ومواجهة مظاهر الشطط واللامهنية عند بعض الصحف والطابع المتحفظ لأداء بعضها الآخر). (الأردن أولا: ص: 27)

ولا شك أن معظم ما تقدمه التلفزيونات العربية – ومن بينها التلفزيون الأردني – يندرج في إطار الثقافة الجماهيرية ، وأما الثقافة الراقية فحظها ضئيل يكاد ينحصر في البرامج الحوارية وبعض البرامج التسجيلية ومعظمها إنتاج أجنبي . ويتم دوما تقديم أشكال ثقافية جاهزة تتسم بالسطحية، لأنها تستهدف جمهورا متنوعا وكبيرا، ويدافع عنها منتجوها بأنها برامج مصممة لمخاطبة الجماهير وليست للنخبة .

وقبل أربعين سنة كتب دينيس ثومبسون Denys Thomson يشكو من دور وسائل الإعلام في الحياة الثقافية البريطانية "إذ يتم تزويد الشباب بثقافة زائفة جاهزة التحضير، وسطحية وجذابة، من خلال مُعدّي البرامج الترفيهية، الذين يستغلون أي عنصر أصيل، في الثقافة الشعبية يمكنه أن يعيش، وقد أضاعت وسائل الإعلام فرصها في أن تكون قوة صحية (نافعة) في حياة الأمة، لأنها خاضعة للإعلان أو أنها تسير مع التيار العام . وحينما نأتي للفعل (على الأقل بالنسبة للصغار) فإنه يظهر كما لو أن المبدأ – الذي به يحمي الناس من أنفسهم وكذلك من الاستغلال الواضح – يناء على هذا المبدأ أن يتم تحديده .فقد استعبد القرن التاسع عشر جسد العامل، ولعل عقله في القرن العشرين هو موضع العبودية.

(Denys Thomson 1964 : p.17)

هذه الشكوى البريطانية من تأثير وسائل الإعلام في ثقافة المجتمع البريطاني هي شكوى ذات طابع عالمي، ولعل خطورتها في المجتمعات النامية أكثر خطورة لسبب بسيط، إذ أن منتجات وسائل الإعلام في

المجتمعات الغربية هي تعبير عن مجتمعاتها ولكنها تنتقل إلى مجتمعاتنا وهي تحمل قيمها ورؤاها الثقافية الغريبة المجتمع العربي.

وقد أبرزت الخطة الشاملة للثقافة العربية رؤية تقترب من الرؤية السابقة إذ أنها تعتبر الوسائل "السمعية والبصرية" (والتلفزيون منها خاصة)في بعض استخداماتها مناوئة للثقافة ، لما تزخر به من الوسائل الإعلامية الموجهة لأهداف سياسية، وللمستوى الهابط في بعض برامجها المعدة للاستهلاك السريع. ويتهم التلفزيون، بدفعه المشاهد إلى السلبية، دون القدرة على أية ردة فعل، أمام مضمون البرنامج.

وقد رأت الخطة أنه لا بد من الأخذ في الاعتبار توظيف الوسائل"السمعية والبصرية" في عملية التنمية الثقافية ، وأنه على الرغم من تراجع الوسائل المطبوعة فإنها ما زالت هامة ولا بد من استخدامهما في إغناء الثقافة العربية، والاعتماد على الوسائل التقليدية التي سيظل لها على أي حال جمهورها، ودورها الثقافي وحاجتها الاجتماعية.(الخطة الشاملة للثقافة العربية 1996ص.177)

وهنا يبدو لكل معنيّ بالثقافة الوطنية/القومية وجاهة التساؤل حول الخطر الجارف مما يسميه البعض بالاستعمار الثقافي أو الإمبريالية الثقافية أو الاستعمار الإلكتروني ، ولا شك أن المخاوف في مثل هذا الحال مبررة، وخصوصاً إذا علمنا أن ما يعرضه التلفزيون الأردني والتلفزيونات العربية يكاد يطغى عليه الإنتاج الغربي وتحديداً الأمريكي. بالإضافة إلى هيمنة الشبكات الأمريكية الكبرى مثل: ABC و NBC وCBS و CNN، Fox وإنتاج هوليود السينمائي والتلفزيوني وهيمنتها في مجال إنتاج السوق الإعلامي لا تحتاج إلى إيضاح وكذلك هيمنة وكالات الأنباء الغربية على سوق الأخبار.

ويمكن إدراك فهم دور الاتصال الجماهيري في المجال الثقافي من عدة زوايا مثل:

1. تعزيز الهوية القومية التي لا يمكن أن تتحقق بدون الثقافة التي تسهم في بناء شخصية الفرد.

2. منح المثقفين دوراً في وسائل الاتصال الجماهيري ليكون صوتهم مسموعا ومقروءا لدى جماهيرهم.

3. تسهيل وسائل الاتصال لفرص وصول الثقافة الراقية إلى الجمهور بتبنيها لأشكال الثقافة الراقية بدلاً من هبوط ما تقدمه انسجاماً مع مبدأ الثقافة الجماهيرية..

4. تبنّي وسائل الاتصال الجماهيري للمواهب الشابة وإتاحة الفرصة للارتقاء بمستوى الثقافة الجماهيرية التي تقدم لهم .

5. تقديم نماذج ثقافية عالمية راقية لتحقيق التفاعل الثقافي ولتعميق التفاهم والتعاون بين الشعوب.

6. توجيه العناية إلى إعداد والبرامج والرسائل الاتصالية الخاصة بثقافة الأطفال والشباب.

لقد باتت مهمة العملية الإعلامية شاملة لمختلف جوانب الحياة ، الاقتصادية ، والاجتماعية والثقافية ، والعملية ، والتعليمية ، والروحية ، فضلا عن المساهمة في بناء شخصية الفرد والذاتية القومية ، والاهتمام بالقضايا الوطنية، والتأكيد على ضرورة المشاركة في بناء الحضارة الإنسانية.

5- الثقافة للجميع : حق طبيعي وقانوني للإنسان:

في بدايات النصف الثاني من القرن العشرين وبُعيد إنشاء منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (اليونسكو)، ومع صدور الإعلان العالمي لحقوق الإنسان انطلق شعار "الثقافة للجميع.

وقد أقرت القوانين والدساتير الوطنية والدولية حقوق الإنسان في المجتمع ومن بينها أن يشترك اشتراكاً حراً في الحياة الثقافية، إبداعا، واستمتاعا، وإسهاما، مما يعمل على تنمية شخصية الإنسان وتطويرها عن طريق:

أ. الإسهام في إبداع الفنون والآداب وفي التمتع بها.

ب. الاشتراك في منجزات العلم وتقدمه والإفادة مما يمنح ويقدم من المنجزات.

ج. جعل الحياة الإنسانية أشد سعة وأكثر عمقاً وأغنى رفاها بالإبداع الثقافي والاستمتاع به.

د. منح الفرص بالتساوي لجميع أفرد المجتمع للتعبير عن أفكارهم ومشاعرهم.

(ص.83)

وتقر المواثيق والتشريعات الأردنية مثل الدستور والميثاق الوطني والأردن أولاً وقانون المجلس الأعلى للإعلام الذي جاء فيه ما يلي:

- تعزيز مبادئ العدل والمساواة وسيادة القانون.
- توفير المناخ للإبداع الفكري والفني والعلمي والثقافي .
- ضمان حرية التعبير عن الرأي وتعزيز النهج الديمقراطي والتعددية السياسية .

- احترام عقل الإنسان وكرامته وعدم المس بحريته أو الإساءة لحياته الخاصة والحرص على المصداقية في إظهار الحقيقة .
- تأكيد حرية تداول المعلومات ونقل الأخبار بما لا يمس أمن الوطن ومصالحه العليا وفقا لأحكام القوانين المعمول بها.
- تشجيع تعدد الهيئات والمؤسسات الإعلامية وتأكيد استقلاليتها وتهيئة البيئة الجاذبة للاستثمار لاستقطاب القطاع الخاص في مختلف الأنشطة والمجالات الإعلامية.
- تعزيز دور الإعلام في بناء الأسرة وترابطها باعتبارها الركيزة الأساسية للمجتمع الأردني .
- تعزيز دور الإعلام في مجالات التوجيه التثقيفي وتأكيد أهمية قنوات الاتصال الإعلامي والثقافي والمعرفي للمواطنين لتوعيتهم بما يشهده العالم من تحولات لمواكبة التطورات العلمية والتقنية والمهنية المعاصرة والانفتاح على الثقافات العالمية .

إن هذه العناصر المقترحة تجعل من وسائل الإعلام وسائل في خدمة الشعب تعزز دورها ما توفره القوانين والمواثيق من حرية واستقلالية وانفتاح وتأكيد على حق الناس في الإبداع وتداول المعلومات.

لقد تعززت وسائل التثقيف الجماهيري بالبث الإذاعي والتلفزيوني الأرضي والفضائي، ونشر بالفيديو والأشرطة والأسطوانات المدمجة والإنترنت والهواتف المحمولة ، وبات عليها تحمل مسؤولياتها في نقل الرسائل الثقافية إلى الجماهير الواسعة والوصول إلى الفئات الاجتماعية المتعددة ذات الاستعدادات الثقافية المتنوعة. ومع إتاحة الفرصة لكل فرد

في اختياراته الحرة، والتعريف بمراكز إنتاج الثقافة الراقية وأعمالها، من مسارح، وقاعات موسيقى، وأوبرا، ومتاحف، ومكتبات.

وترى خطة الثقافة العربية ((أن متانة القاعدة لأي أمة إنما تكون بمقدار شمولية المشاركة لكل عناصر الشعب في خطط الثقافة، وبرامجها، وإنتاجها، وتعني الشمولية تعميق قوى الإبداع رأسياً، وتوسيع انتشار الإنتاج الثقافي أفقيا، ولا يأتي هذا المبدأ من الإقرار بديمقراطية الثقافة فقط، ولكنه يأتي أيضاً من الاعتراف بأن الثقافة إنما تنبع من قدرة الشعب غير المحدودة على الإبداع، وتستمد الثراء الدائم من إسهامه)). (ص. 104)

6 – حرية الثقافة وديمقراطيتها :

إن ثراء الحياة الثقافية وتنوعها وتطورها مشروط بحرية الثقافة وديمقراطيتها، التي تسمح بتوفير العدالة بين الأفراد، من حيث توزيع الثقافة على أكبر عدد ممكن من الناس، وحقهم في الإبداع والاستمتاع، وعدم اقتصار الرعاية على مثقفين محددين، لتوسيع قاعدة المثقفين، بهدف خلق إنسان واع مبدع قادر على المساهمة في بناء مجتمع حر.

6-1 حرية الثقافة وديمقراطيتها :

لا تقوم حرية الثقافة وديمقراطيتها على جهود الدولة وحدها بل تعتمد على المثقفين أنفسهم ومؤسساتهم التي ترعى حرية الثقافة وتدافع عنها، والتي يجب أن تعمل بمبدأ الديمقراطية في تعاملها وتفاعلها وتوزيع منتجاتها.

وحريـــة الثقافـــة وديمقراطيتهـــا مرهونتـــان بســـياقهما الاجتمـــاعي والاقتصادي الذي يمكن أن يحد من حرية التفكير وتبادل الآراء.

تســتلزم حريــة الثقافــة وديمقراطيتهــا عــدم إهمــال الإبــداع الشــعبي. وكذلك تتطلب إقبال المجتمع نفسه على المشاركة في النشاطات الثقافية، وفي إبداع الفنون، والاستمتاع بها. وحرية الفكر من شروط الثقافة إذ تقود إلى إبداء الرأي والرأي الآخر مع الالتزام بأخلاقيات الحوار وبآداب الجدل البنّاء والتسامح وعدم التعصب ورفض الغلو الفكري.

6-2 تدفق الاتصال وعلاقته بديمقراطية الثقافة وحريتها :

تخضع وسائل الإعلام و الاتصال لمجموعة من المعايير والضغوط والقوانين المتمثلة بالدستور وبالقوانين الحكومية ، مثل قانون المطبوعات وقانون الملكية الفكرية ومواثيق الشرف الإعلامية، التي تكفل الحقوق والحريات، أو تقوم بتقنين التراخيص ، أو تفرض الرقابة ، وكذلك هناك قوانين ولوائح المؤسسات الإعلامية. وهناك القوانين الإعلامية والاتصالية الدولية ومواثيق حقوق الإنسان (صالح أبوأصبع 1999 ص- ص 232-234).

إن التعامل مع الثقافة ووسائل الإعلام في ظل تطور تكنولوجيا الاتصال لا يمكن أن ينفصل عن كل تلك التشريعات الدستورية المحلية والقانونية ، ولا ينفصل عمّا أقرته المواثيق الإقليمية والدولية مثل حقوق الملكية الفكرية والحقوق المجاورة .

وقد وفر الاتصال الإعلامي للمرء حرية أكبر في اختياراته وفي تعرضه للرسائل التي يتعرض لها . إذ أصبح تدفق الاتصال العالمي متاحا بحيث لم يعد باستطاعة المرء أن يتابع فيض المعلومات التي تصله، والتي يقع تحت إغوائها.

إن حرية تدفق الاتصال عبر الإنترنت ، لن تبقى مفتوحة كما هي الآن حيث أن ظواهر الاختراقية والانفلات غير المسئول في بعض المواقع سوف تجعل من عملية فرض الرقابة والسيطرة على المعلومات أمرا مقبولا . ونحن نلاحظ الآن أنه في الكثير من البلدان العربية تقوم مؤسسات الاتصال التي تزود خدمات الإنترنت بحجب بعض المواقع التي تُعتبر مسيئة للآداب العامة ، والبعض الآخر الذي يشكل نقدا لنظام الحكم ولكن الأردن من اكثر الأقطار تساهلا في هذا المجال.

●ولا بد أن نشير في هذا المجال أن التواصل ميسر بين الأفراد عبر الإنترنت والفضائيات مما سيقود إلى المزيد من الحرية الاجتماعية والسياسية ،وهذا سيؤدي إلى تفاعل الجماهير وتنامي دورها في التأثير على مناشط الحياة العامة ويقود إلى ثقافة جديدة.

وكذلك فإن الفضائيات تخلق الآن بتنوعها مسرحا واسعا يشارك فيه الجمهور ، على الرغم من أن الأسلوب الذي تطرح فيه القضايا يشكل نوعا من الدكتاتورية لا تسمح للمتحاورين التعبير عن آرائهم أو إنضاجها بشكل كامل مثال ذلك ما يحدث في بعض برامج قناة الجزيرة.

كما أن الكتاب الإلكتروني سيوفر نقلة نوعية في حجم المعلومات التي تقدمها وفي تخطي حواجز الرقابة التقليدية.

وهذه المظاهر الثلاث تعزز مفهوم حرية الثقافة وديمقراطيتها.

7 – مسؤولية الدولة تجاه العمل الثقافي

كما أشرنا سالفا ، قاد تطور تقنيات الاتصال إلى تغيير المشهد الإعلامي العربي ،استجابة لتحدي العولمة الاتصالية. وتقود الفضائيات العربية والإنترنت هذا المشهد الذي يؤدي إلى السير في إطار تنميط أشكال معينة من الاتصال، إذ أثرت على المحطات التلفزيونية الأرضية. وتتنازع هذا المشهد السياسات الحكومية التي تختلف في مسألة فتح قنوات الاتصال أو إغلاقها. مع كل تغيير وزاري، وتقود إلى ممارسات إعلامية– ثقافية جديدة تخلق أنماطاً جديدة من الاهتمام بالعمل الثقافي وانتشاره، و تطوير وسائل التنمية الثقافية.

ومع ازدياد الوعي بدور الثقافة في التنمية الشاملة لتطوير المجتمع ومع انتشار العمل الثقافي واتساع مجالاته، وتعدد وسائله التقنية ، على الدولة أن تقوم بتبني العمل الثقافي ووضع الخطط الثقافية التي يجب أن تتكامل وتتفاعل مع وسائل الاتصال الجماهيري، وذلك من خلال دعم المؤسسات الثقافية وتبني المثقفين، ودعم أنشطتهم، في جو من الحرية والديمقراطية، وتوفير الإمكانيات المادية لهم.

وهنا لا بد من أن نشير إلى بعض المسئوليات التي يقع عبؤها على الدولة في بعض المجالات المتمثلة بأجهزة النشاط الثقافي ومجال اللغة ومجال ثقافة الشباب ومجال النشر ومجال الإعلان ومجال الثقافة الوطنية.

7-1 أجهزة النشاط الثقافي:

التنمية الثقافية جزء من التنمية الشاملة والمستدامة، ويجب أن تكون من أولويات الحكومة ولا يمكن للدولة أن تتخلى عن مسئوليتها في إيجاد أجهزة مناسبة للنشاط الثقافي تسهم في إدارة وتنظيم وتنشيط وتشجيع العمل الثقافي، وفتح آفاق التعاون بين المؤسسات الثقافية المختلفة وفتح منافذ لتوصيل الثقافة إلى المجتمع.

ولذا فإن تأسيس مجلس أعلى للثقافة سيكون أساسياً للعمل الثقافي، مهمته الربط بين وحدات العمل الثقافي وبين وسائل الاتصال، يشارك فيه القطاع الخاص مع القطاع الحكومي، كما يشارك المبدعون الثقافيون، وممثلو المؤسسات الثقافية والجامعية ، مع ممثلي المستفيدين (الجمهور).

ومهمة هذا المجلس:

-توجيه السياسات الثقافية بما يتفق مع الغايات الكبرى، والأهداف الثقافية للأمة.

-توفير التمويل اللازم للمشاريع المختلفة.

-إعداد الخطة الطويلة الأمد للعمل الثقافي.

التنسيق بين مختلف النشاطات، وتنظيم الأولويات فيما بينها في البلاد. (ص. 166)

7-2 في مجال اللغة:

ليس هناك أمة من الأمم تعتز بلغتها القومية كاعتزاز أن العرب بها، لاعتبارات أهمها أنها لغة القران والتراث، ولعله من المفارقة في الوقت نفسه ليس هناك أمة من الأمم تتعامل بتهاون مع لغتها القومية كما يفعل

العرب، بينما نجد الشعوب الأخرى على سبيل المثال (اليونان، الأتراك، الإسرائيليون) تعتز بلغتها، بل لا تقبل لبرامج الأطفال أن تذاع إلا بلغتها عن طريق الدبلجة.

لذا لا بد من اعتبار اللغة الفصحى هي أداة التوصيل التي يتم استخدامها في وسائل الإعلام كما يجب إخضاع الإعلانات المكتوبة لشرط استخدام اللغة الفصحى.

وهذا أمر سيادي يحتاج إلى تدخل المشرع لتطبيقه ومحاسبة التجاوزات التي يمكن أن تحدث.

7- 3 في مجال ثقافة الشباب والأطفال:

رأينا وجهة نظر دينيس ثومبسون (Denys Thomson) التي ترى أن وسائل الإعلام تقوم بتزويد الشباب بثقافة زائفة جاهزة التحضير ، وسطحية وجذابة ، من خلال مُعدّي البرامج الترفيهية " هكذا في الغرب ينظرون إلى الثقافة التي تقدمها وسائل الاتصال للشباب.. وهل نحن سوى مستهلكين لتلك الثقافة؟ ونحن نعلم أن وسائل الإعلام تقوم بتزويد الشباب بالمعلومات والآراء والتجارب الفنية والثقافية. وبشكل خفي وغير مباشر تقوم هذه الوسائل بتزويدهم بتجارب / خبرات إبداعية – من خلال أشكال مختلفة من الفنون والبرامج الترفيهية التي لها تأثير في تعديل اتجاهاتهم وقيمهم.

تلعب وسائل الإعلام دورها إلى جانب العملية التعليمية لجعل الشباب يفهمون عالمهم، ولكن وسائل الإعلام تقوم بتغيير العالم وقيم الناس، وتقود إلى أن نضج الأطفال بشكل أسرع، وتصبح استجاباتهم أكثر وعياً وذكاءً.

ويدعم سوق الشباب وسائل الإعلام اقتصادياً ، فهم أكثر شراء لأشرطة الكاسيت وأفلام الفيديو والأكثر حضوراً لأفلام السينما، وهم الأكثر استماعاً للأغاني والمشاركة في المسابقات والتصويت وإرسال الرسائل القصيرة.

ولا بد للدولة من أن ترصد ميزانيات للعمل الثقافي لإعداد رسائل تخاطب الشباب وتعمل على معارفهم وتزويدهم بثقافة تربطهم بوطنهم.

7-4 في مجال النشر:

على الدولة أن تولي موضوع النشر أهمية خاصة في مجال النشر التقليدي الورقي والنشر الإلكتروني. ومع انتشار الإنترنت لم يعد بالإمكان منع أي أحد من النشر... والرقابة الحالية والمقاييس محددة فقط بالتجاوزات لقانون المطبوعات والأخطاء اللغوية أو الإملائية المتعلقة بنصوص القرآن الكريم وهي بذلك لا تتعاطى مع المستوى الفني أو العلمي أو اللغوي للنصوص ويمكن لمثل هذه المسؤولية أن تناط بجهة مختصة أو خبراء مختصين.

ولذا فالمؤسسات التي تقوم بالنشر يجب أن تلتزم بلجان قراءة كفؤة متخصصة.

ولا بد من التوجه نحو نشر الكتاب الإلكتروني وتعميمه ، خصوصا للأطفال والشباب.

<u>7-5 في مجال الإعلان:</u>

يشكل الإعلان ركناً أساسياً في اقتصاديات وسائل الإعلام المقروءة والمرئية والمسموعة والإلكترونية، وللإعلان دوره الاقتصادي والإعلامي ، وله تأثيراته النفسية والاجتماعية والاقتصادية.

تسهم وسائل الإعلام من خلال حرصها على الحصول على الإعلان وفي تثبيت واقع يقول "إن البضائع المعلن عنها للمستهلك لا تنفصل عن سعادته!" وهذا يعني أن الإعلانات ، تقوم بترسيخ الروح الاستهلاكية عند الأفراد. بل إن الروح الاستهلاكية أصبحت تتحول إلى نوع من الاستلاب كما يقرر (ماركوز) ((ذلك أن الناس يتعرفون على أنفسهم في بضائعهم، ويجدون جوهر روحهم في سياراتهم وجهازهم التلفزيوني الدقيق الاستقبال، وفي بيتهم الأنيق وأدوات طبخهم الحديثة)). وينظر المعلنون إلى جمهورهم بوصفهم زبائن مربحين. ولتحقيق ذلك فإن سعيهم الدائب نحو السيطرة على هذا الجمهور، لا يقابله تحمل مسئولية واعية وحقيقية نحو المجتمع، فهو توجه نحو السعي للربح المادي. إن التوجه القائم الآن في وسائل الإعلام الفضائي نحو التسابق على المال عن طريق البرامج التي تعتمد على التصويت والمسابقات والإعلانات له ثمنه الاجتماعي والاقتصادي والإعلامي. فاستخدام الرسائل القصيرة على سبيل المثال تعبر عن إسفاف حقيقي باستخدام الأحرف الإنجليزية للغة العربية (مشاهدينا في السعودية يمكنكم إرسال مساجاتكم) وهي رسائل عبثية ذات مضمون سخيف.

إن تنظيم الإعلان من حيث مستواه ومضمونه ولغته وما يحمله من قيم إنما هي مسئولية يقع عبؤها على الدولة التي يجب أن تقوم بوضع التشريعات المناسبة لتنظيم الإعلان مهنة وإنتاجا، ومضموناً وشكلاً.

7-6 في مجال الثقافة والاتصال الدولي:

إن تعبير "القرية الكونية" الذي استخدمه مكلوهان هو تعبير واقعي إلى حد، ما فيما يخص الإمكانات الجمة المتاحة لتدفق الاتصال الدولي .ويبدو تأثير وسائل الإعلام في القرية الكونية مؤثراً عميقاً ، فالمجتمعات المتعددة الثقافات وذات الأعراق المختلفة تنحو نحو تلمس خصوصية أعراقها المختلفة ومن ثم تنحو نحو تشظية المجتمع ، ويزداد الميل نحو تقوية الهويات والثقافات الوطنية. ونتوقع للعرب أن يستمروا في دعم وتعزيز هوياتهم الوطنية وتفاعلهم فيما بين شعوبهم ، فالفضائيات العربية - بالرغم من تحفظنا تجاه مستوى وأسلوب ومحتوى ما تقدمه، تخلق الآن جوا ملائما للتفاعل العربي-العربي، إلى جانب أنها تفسح مجالا للشعوب العربية للتعبير عن آرائها، كما يوفر الإنترنت أسلوباً ناجحاً للتفاعل بين النخبة العربية والشباب والاطلاع على ثقافات شعوب العالم.

إن عالم الغد في العالم الاتصالي سيكرس النزوع القومي، وسيجعل شعوب العالم قبائل متعددة في قرية كونية واحدة. لن تغير القرية الكونية المشبكة هوية ثقافة أمة ما ، إلا أنها ستقود إلى تبادل أفضل بين ثقافات مختلفة ، وهذا التبادل هو موضوع تفاعل سيساعد في تطوير الثقافات في العالم .

وتعنـي المقدرة علـى التعامـل عبـر الإنترنـت واسـتقبال الفضـائيات الانفتاح على ثقافات جديدة تنشلة من آفاق عالمه الضيق، لتنقله إلى عالم أرحـب، ويعنـي هذا أيضـاً أنـه أصبح بمقدور الفرد أن يتعـرف علـى عـوالم جديدة تحمل معها وعوداً وآمالاً، وهي تحمل معها قيما جديدة تهدد ثقافته الوطنية، وقيمه وعاداته، وقد تسرّع في تحطيم أنماط الحياة التقليدية، إذا لم تقم الحكومـة بـدورها فـي دعـم الثقافـة الوطنيـة وتعزيزهـا فـي مواجهـة سـيل الاتصال الدولي الجارف.

وستشكل مضامين الإعلام في القرن الحالي أهم مصادر دخل المؤسسات الإعلامية وأهم مجالات المنافسة الاقتصادية . إن المستقبل يقول بأن المضمون سيكون هو مجال الاستثمار الأكثر ربحية . فسيكون بإمكان الشبكات الاتصالية تقديم خدمات الهاتف مجانا ذلك أن استخدام الألياف البصرية والبث الرقمي جعل الاتصال قادرا على نقل المعلومات والبيانات بقدرات وإمكانيات هائلة، رخيصة التكاليف، وعالية الجودة .

إن تشبيك العالم عبر الإنترنت والقنوات الفضائية وبرامجها التليفزيونية التي تبث عبر الحدود، سوف يقود إلى مراجعة إدارات وسائل الاتصال لقدراتها وللتكيف مع هذه الظروف المستجدة من التطورات التكنولوجية السريعة والمتلاحقة، بهدف التواؤم مع تدفق الاتصال الأجنبي والعربي ، وما يفرضه من تحديات قومية. فالقرية الكونية المشبّكة إلكترونيا لن تلغي هوية ثقافة الأمة العربية ، ولكنها ستقود إلى تفاعل يثريها. ويجعل من المضامين الوطنية والقومية مجالاً للتبادل التفاعلي سيساعد في تطوير ثقافات شعوب العالم وسيقود إلى حضارة جديدة.

ومن هنا يكمن دور الحكومة كذلك في دعم الإنتاج الإعلامي المعبر عن الثقافة الوطنية وروحها القومية.

8 – توصيات نحو أجندة للإعلام الثقافي

إن وضع سياسة ثقافية– إعلامية شاملة يعتبرركنا أساسيا للتنمية الثقافية في سبيل رسم الخطوط العامة لتلك السياسة وتمثل التوصيات التالية عناصر مقترحة :

1. ضرورة إيجاد سياسات إعلامية تعنى بالثقافة تلتزم بها خطة لوسائل الاتصال الجماهيرية تكون واضحة المعالم وشاملة، ويشترك في وضعها الإعلاميون والمثقفون والتربويون .

2. العمل على استصدار تشريعات وقائية غايتها الدفاع عن عناصر الهوية الثقافية، وحفظ أسسها مثل: حماية التراث وصون اللغة العربية ومقاومة التبعية الثقافية والغزو الثقافي وحماية حقوق المبدعين والمؤلفين. وسن التشريعات التشجيعية التي تسهم في تنشيط الحركة الثقافية والإعلامية ، خصوصا في مجال حرية الإنتاج الثقافي والإعلامي ، ونشر النتاجات الثقافية وتوزيعها ، وتشكيل المؤسسات والروابط الثقافية المختلفة ودعمها والاستثمار فيها ، وتنظيم العلاقات بين الدولة والمنتج الثقافي.

3. اعتبار اللغة العربية هي الأساس في نشر الثقافة ونقلها، والتعبير عنها. مما يستوجب الاعتناء بها ومراقبة الأداء بها وتطويرها وتبسيطها ، حفاظا على المقوم الأساس للأمة العربية ومحور ثقافتها وذاتيتها القومية . والعناية بتعريب

المصطلحات وتعميمها عبر وسائل الإعلام ونشرها بين الباحثين والممارسين العرب .

4. التأكيد على أهمية الحرية الثقافية والإعلامية وحق الناس في حرية الاتصال، وضرورة ضمان هذه الحريات بالتشريعات التي تكفل التوازن الثقافي والتعددية يسد حاجة الوضع الجغرافي والسكاني، والمستويات الاجتماعية المتباينة.

5. الالتزام بحرية وديمقراطية الثقافة والاعتراف بالتنوع الثقافي ،والتسامح الفكري ،والتعدد الإبداعي ،والالتزام بالمعايير النوعية للثقافة.

6. العمل على إزالة العوائق التي تعترض طريق التدفق الإعلامي والثقافي. ومن بينها إعادة النظر في أسس الرقابة وإجراءاتها المعمول بها ، على الأخص بالنسبة للمواد الإعلامية الواردة من الدول العربية .

7. توصيل الإنتاج الثقافي إلى أكبر عدد ممكن من الجماهير وتوفير سبل الاتصال المتبادل باعتماد الإدارة الثقافية اللا مركزية .

8. احترام تعددية التفكير والتعبير والتسامح الثقافي وتنمية التفتح في الفكر الثقافي وفتح النوافذ عليه لتكون الثقافة شاملة لمفهومي الأصالة والمعاصرة التي تسهم في الإبداع الثقافي

9. توفير تكافؤ الفرص الثقافية بين جميع المواطنين دون تمييز بتوفير الظروف الملائمة لتحقيق الحرية والديمقراطية الثقافية . إذ تشمل حرية الثقافة ثلاثة أنواع هي : حرية التعبير الفكرية وحرية الإبداع في المجالات الفنية والأدبية والجمالية ، وحرية الاستمتاع بالحقوق الثقافية

10. توفير الظروف المشجعة التي تحول دون تسرب الكفاءات الإعلامية والثقافية الأردنية ، وذلك بحماية العاملين بالإعلام والمجال الثقافي ، وتوفير الضمانات المناسبة لهم التي تكفل حرية التعبير وتضمن استمرارهم في عملهم وإعطائهم الحوافز المادية التي تتناسب مع دورهم ومسؤولياتهم.

11. معاملة الإنتاج الثقافي الوطني معاملة تفضيلية مما يؤمن الحياة الكريمة للمبدعين .

12. إنشاء صندوق لتمويل الأعمال والمشاريع الثقافية والفنية والإعلامية الثقافية، ومنح الجوائز وتكريم مبدعي الثقافة والفنون والإعلام ، وتأمين الحياة الكريمة للمبدعين.

13. زيادة ساعات بث البرامج الإذاعية والتلفزيونية الثقافية واستضافة المثقفين في البرامج الثقافية والحوارية والتعريف بمنجزاتهم الثقافية.

14. ضرورة اهتمام وسائل الاتصال الجماهيرية بالبرامج الثقافية المتخصصة بالاستفادة من الروابط والمؤسسات الثقافية وتعميق التعاون بين الإعلاميين والكتاب والتربويين وتخصيص حيز كاف للطفل والمرأة والشباب وذوي الحاجات الخاصة والمسنين وزيادة عدد البرامج والمجلات المتخصصة في هذا المجال .

15. التأكيد على أهمية تنمية أجهزة الثقافة ذاتها، وإعطائها الأولوية المناسبة في خطط التنمية ، بحيث يوفر لها القدر الملائم من الإمكانيات الفنية والمالية والخبرات البشرية ، والحرص على اختيار المؤهلين للعمل في هذه الأجهزة.

16. التأكيد على دور الفكر في قيادة المجتمع وعدم استبعاد المثقفين الحقيقيين وأهل الرأي عن مواقع اتخاذ القرار.

17. دعوة وسائل الإعلام والمؤسسات الثقافية ومؤسسات التربية والتعليم إلى التنسيق فيما بينها ، لوضع خطة مشتركة للعمل الثقافي ، تجنبا الازدواجية العمل ، ووصولا لتعزيز الذاتية الثقافية وتعميقها وشموليتها واستخدامها في إنجاح العملية التربوية والتعليمية والتنموية

18. تشكيل لجنة استشارية مشتركة من العاملين في مجال الثقافة والإعلام والجامعات والتربية تتولى مناقشة المشاريع والبرامج الثقافية في المؤسسات الإعلامية ، ومتابعة الأنشطة الثقافية في المؤسسات الإعلامية وتنسيق هذا

العمل مع الأنشطة الثقافية الأخرى التي تقوم بها المؤسسات المعنية بالثقافة من غير المؤسسات الإعلامية .

19. الاهتمام بالأجهزة البشرية العاملة في الميدان الثقافي لمنحها أجراً كريماً وتأهيلاً مستمراً.

20. الاهتمام بنشر الكتاب الإلكتروني وخصوصا الموجه إلى فئة الشباب

21. إنشاء موقع إلكتروني للثقافة في الأردن يقوم بالتعريف بالمثقفين الأردنيين من الكتاب والفنانين والمبدعين وتوفير ما أمكن من أعمالهم إلكترونيا.

22. التكامل والتعاون بين القطاعين العام والخاص وتشجيع المبادرات الإعلامية والثقافية غير الرسمية.

23. الحاجة إلى لجنة عليا متخصصة للقراءة في دائرة المطبوعات و لجنة عليا للبرامج الثقافية في الإذاعة والتلفزيون مثل هذه اللجان التي تعنى بتقييم الأعمال من حيث مضمونها ومستواها الفني

24. زيادة نسبة حقوق التأليف التي تتراوح بين 10-15% من سعر الغلاف، وهي نسبة لا تتجاوز نصف ما يحصل عليه بائع الكتاب في كشك بيع الصحف أو في مركز بيع كتب.

25. ترشيد الإنفاق المبعثر والمباشر على النشاط الثقافي، وترشيد هذا الإنفاق بمراعاة اقتصاديات العمل الثقافي ، وتحديد أولويات المشاريع الثقافية، وحسن توزيع الاعتمادات المالية.

26 .دراسة الطرق والوسائل التي تمكن من تسويق الإنتاج الثقافي بشكل يجعله في متناول الجماهير العريضة داخلياً وخارجياً .

المراجع

- دائرة المكتبة الوطنية (2002) البيليوغرافيا الوطنية الأردنية: السجل السنوي للنتاج الفكري في المملكة الأردنية الهاشمية لعام (2002).
- شون ماكبرايد ورفاقه (1981): أصوات متعددة وعالم واحد (الجزائر : اليونسكو والشركة الوطنية للتوزيع (356 – 366)
- الميثاق الوطني الأردني – عمّان (1990)
- الأردن أولاً – عمّان – دائرة المطبوعات والنشر (2003)
- صالح أبوأصبع (1997): إدارة المؤسسات الإعلامية (عمان: دار آرام ،88–93)
- صالح أبوأصبع (1999) تحديات الإعلام العربي، (عمان: دار الشروق).

♦ صالح أبوأصبع (1999): الاتصال الجماهيري (عمان: دار الشروق ص–ص .232–234)

♦ صالح أبوأصبع ، عز الدين المناصرة ومحمد عبيد الله (1999) العولمة والهوية (عمان: جامعة فيلادلفيا).

♦ مصطفى المصمودي (1982): النظام الإعلامي الجديد (الكويت :المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب) ص–ص . 17–19

♦ المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (1998م)، الاستراتيجية الثقافية للعالم الإسلامي، (الرباط: المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة).

♦ المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (1987) الإعلام العربي حاضراً ومستقبلاً: نحو نظام عربي جديد للإعلام والاتصال (تونس: الكسو: إدارة الإعلام).

♦ المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، (1998م)، الخطة الشاملة للثقافة العربية، مراجعة وتنقيح محمد الميلي وآخرون (تونس: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم).

♦ Chip:(FEB2001 ,P:42)

♦ Denys Thompson (1964) Discrimination & Popular Culture England, Middlesex, Penguin Books).

♦ Marshall Mcluhan (1989): The Gutenberg Galaxy. (New York: The New American Library).

♦ T. Baldwin & D.S. Mc Voy & C. Steinfield (1996): Convergence Integrating Media, Information & Communication. (California: Sage Publication).

Telecom asia 2000August (p. p:21

الفصل الرابع

الإبداع وتكنولوجيا الاتصال الجماهيري:
علاقة اقتران أو افتراق؟

الفصل الرابع
الإبداع وتكنولوجيا الاتصال الجماهيري،
علاقة اقتران أو افتراق؟

1- مقدمة :

ثالوث الإبداع والحرية وتكنولوجيا الاتصال الجماهيري:

عرفت البشرية وسائل اتصال مختلفة بدءا بالاتصال الشخصي وانتهاء بالاتصال الجماهيري التي كانت –على اختلافها – سبيلا لتحقيق تواصل الإنسان والتعبير عن حاجاته الأساسية في المعيشة والعمل والاستمتاع ، ووفرت تقنياتها كذلك سبيلا للتعبير عن ذاته المبدعة وخياله الرحب في فضاءات منعتقة من القيود وباحثة عن حرية لاتحد .

ومنذ القدم كانت ملكة الإبداع عند الإنسان حرة منطلقة الآفاق ، تبحث عن أساليب وتقنيات وأدوات يعبر فيها عن أحلامه وآماله ويتواصل فيها مع الآخرين ويحقق ذاته . وحين اهتدى الإنسان إلى اللغة والخط والرسم والإيقاع والنحت واللون والريشة والإزميل ،اهتدى إلى وسائل يحقق معها وبها وجوده المتفاعل مع الآخرين ومع البيئة .

ولهذا كان الإبداع يمثل دوماً القدرة الخلاقة على ابتكار الجميل والممتع ، الذي يعبر عن تفاعل الإنسان مع بيئته ، ليقدم رؤيا جديدة سواء أكانت كلمة أو رسما أو إيقاعا أو نحتا أو غير ذلك ،من أشكال التعبير الحديث، كالسينما والتلفزيون، معبرا فيها عن مجتمعه وهمومه وأمانيه وطموحاته، أو باحثا عن المطلق، وهو يحمل معه دوما صورة للحاضر ،وتعبيرا عن الحياة باستمرارها واستشرافا للمستقبل . ولذلك كانت الأعمال الإبداعية الخالدة تحمل معها سمات مشتركة ذات طابع إنساني، تطرح قضايا إنسانية لا تموت ، لتكون تعبيرا عن واقع الإنسان وحلمه وآماله ، ولا تفقد قيمتها مع الزمن ، لأنها تجسيد للإنسان ومعاناته وأفراحه وآلامه وآماله ، ولا تسقط كلما تقادم الزمن عليها فهي غير مرهونة بلحظة الإبداع قابلة للتواصل في كل الأزمان ، لأنها تعبر عن جوهر الإنسان . وما زلنا نستمتع بإبداع اليونان في منحوتاتهم ونستمتع برسومات

مايكل أنجلو وليوناردو دافينشي كما نستمتع بأعمال روبنز وديكالاروا وبيكاسو والأرابسك وأعمال فاتح المدرس ومختار وصلاح طاهر وإسماعيل شموط ..الخ ولا شك أن الحرية هي المناخ الملائم للإبداع الذي ينمو في ظروف تحقق للإنسان الثقة بالنفس والكرامة والمسئولية وعدم الخوف من القيود والرقباء .والتكنولوجيا هي الأداة التي بها يستطيع تنفيذ إبداعاته ونشرها .

- وفيما يتعلق بالحرية لا يمكن عزلها عن مفهوم حق الإنسان في الاتصال " في أن يسمع وأن يُسمع وأن يعلم ويُعلم" كما يقول جان دارسي

- وفيما يتعلق بالتكنولوجيا تتابعت الاكتشافات والاختراعات الهامة التي بلغت ذروتها في القرن التاسع عشر، الذي شهد اكتشاف الكهرباء واختراع البرق والهاتف والسينما وتطوير آلات الطباعة وصناعة الورق، وتطورت وسائل المواصلات البخارية مثل القطارات والسفن ، وبحلول القرن العشرين شهد العالم إنجازات لم تشهد البشرية لها مثيلا في مجالات عديدة :

ففي مجال الصحة تم اكتشاف العديد من الأمراض وأمصالها وعلاجها وتكنولوجيا الطبية

وفي مجال المواصلات التقدم في اختراع وسائل المواصلات من سيارات وقطارات وطائرات وسفن والتي عززت راحة الناس وساعدت على تسهيل حياتهم لنقل البشر ونقل البضائع بتكلفة اقل وسرعة اكبر وتفاعلهم وسرعة انتقال وسائل الاتصال المطبوعة .

وفي مجال التعليم تم التوسع في التعليم الأساسي والجامعي والتخصصات الدقيقة، وفي مجال الثقافة انتشرت الثقافة الجماهيرية عبر وسائل الاتصال الجماهيري من صحافة وإذاعة وتلفزيون وسينما واسطوانات وغيرها.

وفي مجال الاتصالات–التي تعززت باستخدام الأقمار الاصطناعية–والهواتف والفاكس والتلكس واستخدام الموديم مما يسهل حياة الناس وتعاملاتهم التجارية والعلمية والسياسية والاجتماعية والثقافية.

وفي مجال المعلومات تم اختراع الكمبيوتر واستخدام الموديم والألياف الضوئية والبلوتوث وإمكانياته الهائلة في خدمة نقل المعلومات واستخدام الإنترنت .

وتعيش البشرية في القرن الحادي والعشرين متنعمة بوسائل تسهل حياتها وتجعلها رغدة، ومع ذلك فإن هذه الحياة الرغدة التي يمكن للمرء ان يعيشها لا تخلو من سلبيات تؤثر على الإنسان وثقافته وبيئته .

- التطور الهائل في مجال الاتصال الجماهيري باختراع السينما والراديو والتلفزيون ، وتطور الطباعة الهائل التي أسهمت في صناعة الكتاب والصحافة وانتشارها ، وهذا كله أدى إلى زيادة الوعي في المجتمعات المختلفة، وإلى زيادة التفاهم والتفاعل بين الثقافات المختلفة وانتشار الفنون على مستوى جماهيري لتصنع ما يعرف بالثقافة الجماهيرية.

- انتشار مفاهيم الحرية والديمقراطية في المجتمعات والتي عززت حرية الإنسان وكرست مفهوم المجتمع المدني.

وفي عالم اليوم أصبحت وسائل الاتصال الجماهيري من إذاعة مسموعة ومرئية وصحافة وكتاب وسينما وفيديو وإنترنت ذات قوة هائلة تهيمن على حياة الإنسان . وتصبح لهذه الوسائل قوة على حياة البشر أسماها أحد الباحثين بالإله الثاني اذ يرى أن " الراديو والتلفزيون في كل مكان وهما دائماً معنا . إذ يستمع الملايين إلى نفس الشبكات الإعلانات التجارية ويشاركون شخصيات

المسلسلات العاطفية مذاق الروح ، وغموض الحب والموت ومعاناة الخطيئة وانتصار الشيء الصحيح ".

ويقول : إن وسائل الإعلام تؤثر على اتجاهات المجتمع والبنى السياسية والحالة النفسية لجميع البلدان ،ومثل الله ، فإن وسائل الإعلام يمكنها أن تغير دورة الحرب أن تطيح بملك أو رئيس ، وترفع من حط الله من قدره وتخفض من علا شأنه من خلال توجيه الملايين على نفس الحدث وبنفس الطريقة (3-1: 1983 Schwartz).

كيف إذن يمكن للمرء أن ينال حريته الاتصالية عبر وسائل الاتصال الجماهيري ليستطيع أن يبدع في ظل ثورة تكنولوجيا الاتصال ؟ !

هذا السؤال له وجاهته إذ يشهد العالم ثورة في مجال تكنولوجيا الاتصال لها تأثيراتها وتضميناتها على عدة مستويات :

- فعلى المستوى الاقتصادي والسياسي : فإن رياح التغيير هزت مواقع عديدة من العالم ساهمت وسائل الاتصال الجماهيري – بتقنياتها العديدة – في تغيير الواقع الجيوسياسي ، قلبت مفاهيم الديمقراطيات الشعبية والحريات والمجتمعات المدنية.وقادت إلى ظاهرة السيطرة الدولية عبر التكتلات عابرة القارات التي أصبحت أكثر استجابة لنداء العولمة من أي نشاط آخر، في ظل ظروف باتت تعرف بالتلاقي والاندماج.

- وعلى المستوى التكنولوجي والثقافي : تفرض التطورات المتسارعة في تكنولوجيا الاتصال وجودها على المجتمعات الإنسانية – وخصوصاً في جانبي الحرية والإبداع – حيث عملت تطبيقاتها على تلاشي الحدود بين الشعوب، ووفرت إمكانيات الحصول على المعلومات بحرية غير مسبوقة ، ووفرت الإمكانيات التكنولوجية العالية والبرمجيات المتطورة فرصا متزايدة لإنجاز إبداعات فنية مبتكرة بطرق غير تقليدية وسهلة .

إذن فأزمة وسائل الاتصال والحرية أزمة متصلة ، مرتبطة بجوانب مجتمعية وتكنولوجبة وسياسية واقتصادية فمن يملك القوة والنفوذ ومن يملك الوسائل ، يملك المقدرة في التوصيل، ويملك القدرة على حجب الاتصال وتحديد نوعيته وكميته ، ويفرض شروطه وهويته على الاتصال . كما سنبيبن ذلك فيما بعد .

ثورة تكنولوجيا الاتصال وتطبيقاتها في عالم الاتصال :

يستخدم الاتصال في نقله للمعلومات الآن التقنية الرقمية الإلكترونية التي تعني هنا : أي نوع من أنواع الاتصال سواء كانت بيانات أو صوت أو صورة ، وهذا يشمل الكلام والأصوات والأرقام والكلمات والرسوم البيانية والموسيقى والأفلام والألوان .

بهذه التقنية الرقمية أصبح بمقدور الانسان تخزين المعلومات والتعامل معها عن طريق الحاسوب ووسائل أخرى متعددة الاستخدام ، مما بات يسمح بنقل جميع أنواع الرسائل الصوتية والمرئية بصورة آمنة ومطابقة للأصل ، وبحيث يمكن بثها والوصول إليها واستخدامها فوراً من طرف المتلقي والذي بدوره يمكنه تخزينها والتصرف بها .

وسنستعرض هنا بعض جوانب تطور تكنولوجيا الاتصال وتطبيقاتها التي سيكون لها تأثيراتها على سرعة الاتصال ونوعيته وحجمه وانتشاره ودرجة توفره للناس ، مما سيؤثر على مجالات الحرية والإبداع :

1- استخدام الكمبيوتر والمعلومات الرقمية والبث الرقمي: قاد استخدام الكمبيوتر في مجال الاتصال الفضائي ومجال الاتصال المسموع والمقروء إلى ثورة في

أسلوب التوصيل من حيث النوعية والسرعة والتكلفة والانتشار، وأدى استخدامه ذلك إلى الانتقال إلى استخدام البث الرقمي، الذي يعني التعامل مع المعلومات عن طريق الكمبيوتر رقميا تخزينا وبثا واستخدامها فوراً من طرف آخر بصورة أمينة مطابقة للأصل. مما قاد إلى اندماج الصوت والصورة والمعلومة في مكتبات ضخمة متاحة عند الطلب مع امكانية التفاعل معها.

2- استخدام الألياف الضوئية : إذا كنا قد شهدنا باستخدام الأقمار الصناعية ثورة حقيقية في مجال تكنولوجيا الاتصال فإننا نشهد الآن المرحلة الجديدة منها باستخدام الألياف الضوئية والبلوتوث ، مما يزيد بشكل مذهل قدرات الطرق السريعة الإلكترونية لنقل المعلومات ، مع رخص تكلفتها.

فبإمكان خط ليفي بصري واحد بحجم شعرة الرأس مصنوع من الزجاج أو البلاستك أو من الفايبر نقل ستة ملايين مكالمة هاتفية متزامنة ، أو مئة ألف قناة تلفزيونية ، الأمر الذي يسمح بنقل الموجات الضوئية التي تنقل الصوت والصورة والبيانات بكفاءة عالية .(Chip- FEB ,2001 P:42)

وأصبح بالإمكان بث إشارات الألياف الضوئية عبر أشعة الضوء لتصل إلى أي مكان دون عوائق مثل التي كانت سابقا تواجه موجات الراديو عبر البث التقليدي. حيث وفرت هذه التقنية نقل إشارات البث التلفزيوني التقليدي Analog وتحويلها إلى إشارات رقمية توفر الفرصة لأن تبث عشرات المحطات في خط واحد بعد أن كانت إمكانيات البث التلفزيوني محدودة.

3- نظام الحزمة الواسعة (العريضة) المدمجة (IBS): في الماضي، كانت صناعة الهاتف والكابل والإذاعة والتلفزيون والكمبيوتر والأقمار الاصطناعية صناعات مستقلة نسبيا ،كل صناعةتعمل بمفردها ، وهي الآن

بصدد خلق ما يعرف بأنظمة حزم الموجات الواسعة المتكاملة- المندمجة Integrated Broadband Systems (IBS) أو نظام الحزمة الواسعة المدمجة Itegrated Broadband System (IBS) أو ما يعرف بشبكة الحزمة الواسعة المدمجة Itegrated Broadband Network (IBN) مما يعني أن هناك خدمة شبكة مدمجة كاملة تقدم للمتلقي Full Service Network

وتعني هذه الخدمة أن الهاتف والمعلومات والصورة ستكون مترابطة وذات منفذ لمدى واسع من خدمات الاتصال والمعلومات ومتاحة من خلال الشبكات . ولاحتواء هذه فإن اتساع الحزمة التي تنقلها ستكون ضرورية . إذ تمثل سعة الحزمة حجم قدرات النظام الاتصالي على نقل المعلومات والبيانات ، فكلما اتسعت الحزمة زادت إمكانياتها حجما وسرعة. فنقل الصورة العاديةغير الملونة يتطلب سعة ضئيلة بينما تحتاج الصور المتحركة إلى سعة كبيرة جداً ، وكذلك فإن سرعة الاتصال تتأثر بسعتها ولذا كلما اتسعت الحزمة أصبح بالإمكان نقل معلومات كثيرة بسرعةكبيرة . ولعل أهم خصائص نظام الحزمة الواسعة المدمجة أنهاستكون متاحة للمنازل والمكاتب . (T. Baldwin & D.S. Mc Voy & C. Steinfield :1996 P.P2-3)

4- التلفزيون الفائق الوضوح High Definition TV(HDTV):

بينما حصل تطور كبير من حيث نوعية الآت التصوير التلفزيون والمرسلات والمستقبلات إلا أن نظام البث التلفزيوني ظل قاصرا عن مجاراة هذه التطورات، لاسيما أن رغبة المشاهدين لشاشات أكبر وأوضح كانت رغبة عارمة. و البث التلفزيوني الفائق الوضوح سوف يستخدم حوالي 1100 سطر عمودي و700سطر أفقي، مما يجعل الصور المبثوثة أكثر وضوحاً ونقاء مما توفره شاشات

التلفزيون الحالية.كي تقدم صورة تضاهي نوعية الأفلام التي نشاهدها في السينما ونوعية CDالصوت مثل نوعية صوت الأسطوانات المدمجة فنظام ن تي س سي في الولايات المتحدة واليابان يستخدم 525سطرا ،ويقترحون بديلا لها 1125 سطرا في البث التلفزيوني الفائق الوضوح ، أما النظام الأوروبي الذي يستخدم الآن 625 سطرا فإنه يتبنى استخدام 1250 سطرا في البث التلفزيوني الفائق الوضوح .

يمكن البث التلفزيوني الفائق الوضوح أن تبث مباشرة من الأقمار الصناعية بالإضافة إلى البث باستخدام الموجات القصيرة ونظام الكابل. وقد نزلت إلى الأسواق التلفزيونات المسطحة المتلائمة مع هذه التقنية . (Stephen Lax 1997: p.p 48-49) (T. Baldwin & D.S. Mc Voy & C. Steinfield :1996 P.124)

5-الكتاب الالكتروني E. Book تسير الخطط سريعة نحو إنجاز الكتاب الالكتروني باستخدام الاسطوانات المدمجة الذي يمكن تحميله على الحاسب الشخصي أو المحمول أو جهاز قراءة الكتب والآن هناك العديد من البرامج التي تقوم بهذه المهمة مثل مايكروسوف ريدر Microsoft Reader Rocet Book و ذاجلاس بوك ريدر Glass Book Reader وجهاز قراءة الكتب العربية لا يتوفر بعد في السوق العربية ، إذ أن برامجه لم تعرب بعد ، وتقود التوقعات المختلفة إلى أن الكتاب الالكتروني في غضون سنوات قليلة سوف يكون هو الكتاب المدرسي.

6- بلوتوث Bluetooth: البلوتوث عبارة عن تقنية تمكّن عددا من الأجهزة الاتصال بعضها بالبعض الآخر أو الاتصال بين الانسان وانسان الآخر، أو انسان وأجهزة أخرى كنظام الصرف الآلي في البنوك . وجاء تسمية هذا الجهاز Bluetoothبلوتوث نسبة إلى ملك الدنمارك في القرن العاشر . ويعمل هذا الجهاز على موجات الراديو القصيرة المدى حيث لا يتجاوز مدى الاتصال حتى

الآن عن 10 أمتار ، ولا تحتاج هذه الموجات إلى تراخيص . فعلى سبيل المثال تستطيع الأجهزة التي يركب عليها جهاز بلوتوث من التخاطب بعضها مع البعض الآخر . فمثلا يمكن للطابعة بالمكتب أن تدرك وجود كمبيوتر متحرك laptop فور وصوله ومن ثم القيام بعملية الطباعة دون الحاجة إلى أسلاك توصيل . وفي حالة استخدام هذه التقنية مع التلفونات النقالة ،فإن الإنسان يستطيع أن يعلم فيما لو وصلته رسالة بريدية الكترونية ، أو الاتصال بالبنك لإجراء تحويلات مالية أو إعطاء تعليمات معينة للأجهزة المنزلية كأن يشغل مكيف الهواء

ويمكن أن يوصل البلوثوث بين 8 أجهزة في آن واحد . ولا تتجاوز قيمة هذه التقنية البسيطة 10 دولارات .

ونظرا لأن بلوثوث تعمل في مدى ضعيف فيتم إضافة نظام اتصال يعرف بـ 3h الذي من شأنه تمكين عملية الاتصال بين جهاز التلفون النقال الذي يحمل بلوتوث ودوائر المعلومات والبنوك الأخرى التي يرغب المشترك الاتصال بها . ولتوضيح هذه التوليفة بين بلوثوث ونظام 3 يمكن ضرب المثال التالي : يمكن لكل برادات صرف المرطبات آليا التي تركب عليها بلوتوث أن تقوم بالاتصال بمركز التزويد الرئيسي لإعلامه بنفاد البضاعة (Windos User Magazine :Feb,2001 P.P 55-62)

7-الاتصال التفاعلي Interactive Comunication : وانعكس التطور الحاصل في أجهزة استقبال الاتصال المسموع والمرئي والاتصال التفاعلي مثل الهاتف والحاسوب على نوعية الأداء من حيث السرعة والقوة وجودة الأداء، ولذا نجد أن العديد من الإنجازات قدتحققت مما له تأثيراته على أداء الاتصال، وستقود منظومة الحزمة الواسعة المدمجة إلى استخدام الوسائط المتعددة ، وبحيث سيصبح متاحاً للمرء استخدام جهاز واحد يمكنه من استخدام الهاتف

والإنترنت واستقبال التلفزيون والسينما بأسلوب تفاعلي Interactive. ومن خلال وسائط خاصة كالحاسوب والأجهزة الخليوية يمكن أن يقوم المشبوكون بها الاتصال بمصادر المعلومات ، ويحصلون على استجابات فورية من المصدر ذاته أو من طرف ثالث ، وهذا يقود إلى ما أصبح يعرف بالاتصال التفاعلي Comunication Interactive .

إن ما تنتجه لنا منظومة أو شبكة الحزمة الواسعة المدمجة قد يكون عملية اتصالية داخل المنظومة أو الشبكة نفسها . إذّ يرتبط المعنيون بعضهم بالبعض الآخر ، وقد يكون أيضا منتجاً لمؤسسة إعلامية أو غير ذلك مثل : البرامج التلفزيونية ، وجداول خطوط وحسابات البنوك ، وبحيث يستطيع المرء التفاعل مع المعلومات وتخزينها وتغييرها ، كما يحصل في التعامل المصرفي ، أو يمكن اضافة معلومات أو التحاور كما هو في الإنترنت. وعلى المؤسسات الإعلامية أن تدرك المتغيرات القادمة والني ستجعل من الوسائط المتعددة أمرا في متناول يد الإنسان العادي ، فجهاز الهاتف المحمول سيصبح أداة لتصفح الجريدة ، ولقراءة كتاب، ولمشاهدة برنامج تلفزيوني بالاضافة إلى دوره التقليدي ، وسيكون على المرء الذي يختار مضمونا ما أن يدفع مقابله ، فالمنافسة إذن ستكون على تسويق المضمون فهل المؤسسات الإعلامية في الوطن العربي مستعدة لذلك أو أنهاقادرة على دخول عالم المنافسة ؟.

وتشير مجلة بي سي العربية PC إلى أن : (الجهاز المنحدر من الهواتف النقالة ، سيكون على الأرجح هو المفتاح الشامل للمستقبل الرقمي ، إذ سيبقى في حالة تشغيل دائم ، وسنحمله معنا باستمرار ، وسيكون جاهزا دائما لتحريك عجلة التجارة ، بدءا من شراء مرطب خفيف ، إلى التجارة بالأسهم ، وسيتضمن وظائف الحواسيب المحمولة باليد ، وأجهزة النداء ، وسيكون صلتك

الرئيسية بشبكة الانترنت وستتمكن من شراء شاشات عرض متنوعة لقياس الجيب ، تضاف إلى أجهزة المعصم القياسي الذي ستستخدمه كواجهة للدخل والخرج ، وستستخدم شاشات نحيفة ملونة يمكن طيها أو لفها في أنبوب رفيع ، وسيتضمن هذا الهاتف المتطور جدا مذياعا شخصيا وتلفازا ومشغلا للموسيقى، وستتوفر الخدمات والمحتويات اللازمة التي تغذي تلك الوظائف في الفضاء السبراني ، ولن تكون بهذا بحاجة إلى حمل أي وسائط تخزين . وستستطيع معرفة مكانك الجغرافي باستخدام نظام GPS والخلايا المكروية ، لكن الأمر المزعج أن ذلك سيسمح للآخرين بمعرفة موقعك . وستومض لوحة إعلانات قرب نافذة مكتبك ، أو على الطريق السريع برسائل شخصية ، وستكون كثير من الأجهزة قادرة على التعرف عليك وعلى ما تفضله بالاعتماد على تتضمنه أجهزتك الشخصية وما تبثه. وطور البحاثة عددا من نماذج أجهزة التحكم المقبولة الشكل للحواسيب القابلة للارتداء وهي تشبه الخواتم والأقلام ، لكن أجهزة التحكم العادية ستبقى المفضلة في هذه المرحلة ، ومع استمرار التقارب بين الإنسان والحواسيب أكثر من أي وقت مضى سنستمر في الحديث عن واجهات الاستخدام التي تكسر الحدود بين الآلة والإنسان وسيستمر التحدي في توقع كيف سيبدو مشهد التقنيات المقبلة وكيف سنتكيف معها . (المستقبل الرقمي: للحوسبة الأجهزة المتعددة الوجوه. مجلة بي سي العربية يناير 2001 : ص 73)

8- العوالم الافتراضية: الواقع الافتراضي – التشبيهي: وفرت تقنيات الاتصال الرقمي إمكانيات الاتصال التفاعلي و كما جعلت التطبيقات الفنية في مجال الواقع الافتراضي – التشبيهي متاحة. ويقول سهيل زخور : (....وبعد هذا التقدم الذي حققته فرص التواصل عبر الشبكة، كالتجارة الإلكترونية، أو التعليم والتحصيل العلمي عن بعد، وكافة الأنشطة الأخرى، من ترفيهية، أو غير ذلك، هاهي تقنية جديدة تطل علينا، حاملة معها آفاقاً جديدة، كوسيط جديد، يحتضن

زوار الشبكة على اختلافهم. واصطلح على تسمية هذا الوسط الجديد، العوالم الافتراضية التي هي : محاولة لاستيطان الفضاءات السايبيري(Cyber Space) وذلك بجعله مسكنناً للجماعات الافتراضية Virtual Communities

يكمن أحد أهم الأهداف التي تصبو إليها هذه التقنية، في تطوير خبرة تواصل بين الأعضاء في الفضاء السايبيري، من تواصل نظري (نص أو صورة ثابتة)، إلى تواصل شعوري يخوض في (فضاء ثلاثي الأبعاد)، لذا فقد عمل هذا النظام على تجسيد كل عنصر في هذه العوالم الافتراضية بشكل ثلاثي الأبعاد، المكونات الثابتة، الأشخاص...الخ. أما على صعيد النشاطات المصاحبة، فقد تم تطوير آلية تزيد من حالة التواصل الشعوري بين رواد الوسط الافتراضي، مثل تكريس أحد أجنحته أحياناً، ليكون بمثابة قاعة عرض للوحات فنية ، تعرض فيها عادة، لوحات لكل من يرغب في ذلك، عن طريق إرسال لوحاته الفنية لهذه القاعة، إلى جانب بزوغ فكرة جديدة في الآونة الأخيرة، اعتمدت على ما بدأ يدعى ، أي البث الحي (المرئي والمسموع) عبر الشبكة ،

بحيث تنتظم في إحدى القاعات، العديد من الشاشات التي تبث أحداثاً حية من مجموعات بشرية مشاركة في هذا الحدث، ومجتمعة في مكان معين على هذا الكوكب، أو حتى من مواقع إخبارية على الشبكة، فتزيد من حالة التواصل الشعوري بين المشاركين، لتوفر عنصر التواصل البصري (المشاهدة).

ونشأت هذه النظم وتطورت في أحضان البيئة التي سبقت ويب فقد بقيت علاقتها بتقنيات الوسائط المتعددة (الملتيميديا) بدائية نسبياً، على الرغم من التطور المتسارع لتطبيقات ويب، الشيء الذي دفع لاحقاً باتجاه البحث عن تقنية جديدة تكسر الحاجز التقليدي المستند على الأنماط البدائية، والمعتمد أساساً، على الواجهات النصية، وذلك بغية إيجاد (وسيط جديد)،

بدأت ملامح هذا التوجه تتضح، مع التطور الذي طرأ على نظم المخاطبة النصية، عندما بدأت تدعم بواجهات رسومية وهو ما شكل التطور السريع الذي شهدته محركات الإظهار الرسومية ثلاثية الأبعاد_التي طورت أصلاً لتدعم تطبيقات الألعاب_ وبروتوكولات إنترنت (نظم نقل البيانات عبر إنترنت).

9- بث الروائح عن طريق الحاسوب: لم يكن يخطر على بال أحد قبل عشر سنين أنه بامكاننا أن نستقبل رسائل معطرة عن طريق الحاسوب، أو نشعر بملمس ما نشاهده على شاشة الحاسوب ولكن هذا لم يعد خيالا فالتقنية الآن موجودة بامكاننا استخدامها .في سبتمبر / أيلول 1998 أعلن خبيران من الولايات المتحدة الأمريكية متخصصان في مجال التقنية الحيوية هما جويل بيللينسون وديكستر سميث ، أنهما نجحا في تصميم جهاز للروائح الالكترونية يركب داخل الحواسب الشخصية يقوم الجهاز بتحويل آلاف الروائح الرقمية التي تبث رموزها عبر الشبكة العالمية ، إلى روائح فعلية يشمها المستخدم في بيئة الواقعية وقد وعد الخبيران أن يحدث اختراعهما " ثورة حسية " في الشبكة العالمية . أطلقت شركة ديجيسنت للسوق جهازا يرتبط بالحاسوب اسمه أنا أ شم وهو يعمل على خلط وإصدار حوالي 128 رائحة من خلال خراطيش يمكن استبدالها كتلك التي تستخدمها الطابعات، ويمكن للمستخدم من خلط الروائح على هواه وترى الشركة أن فن استعمال الشم والروائح كشكل من أشكال الاتصال سيكون له تطبيقاته في أربع مجالات وهي التسلية والتجارة الالكترونية والإعلان والتعليم، ويتوفر الآن موقع نورتال وهو أول بوابة مدعمة بالروائح تمكن الشخص من إرسال بريد الكتروني معطر كما هو الحال في البريد المموسق. وما زال التنافس محتدما لصنع نماذج رقمية للتركيبات الجزئية للروائح العطرية بحيث تصبح العطور مجرد معلومات ، يمكن نقلها وتداولها وإعادة بثها وتركيبها ! .

وهناك جهاز روائح آخر " Sniffman يحتوي عشرين نوعا من العطور وهو مصمم للاستخدامات العمومية ، وقد يفتح آفاق مستقبلية لتعطير الأجهزة التلفزيونية التفاعلية ، جهاز الروائح هذا بحجم الكتاب الصغير وعلى المستخدم أن يعلقه حول عنقه ، ويوصل بالشبكة عبر المودم ، وبعد تنصيب برنامج التعريف يقوم الحاسب ببث الرائحة المناسبة للموقع المناسب .

يمكن استخدام جهاز الروائح لألفي مرة ، ويمكن تعبئة المرة تلو المرة ، وقد وعد برند غنيويكو القائم على تطوير جهاز Sniffman بأن يخزن الجيل التالي منه حوالي مائتي رائحة حقيقية أي ثلث عدد الروائح الفعلية ، التي تؤلف بيئتنا اليومية.(حسن م. يوسف : مجلة بي سي – عدد ابريل 2001 ، ص: 48)

10- حاسة اللمس عن طريق الحاسوب : يعتبر اللمس من أهم حواس التي يتمتع بها الانسان بعد حاستي السمع والبصر . ومع التطورات المستمرة في عالم الحوسبة الشخصية طرح المطورون في شركة Immersion Technologies تقنية جديدة تضيف بعدا آخر لأجهزة الماوس .ولم يستغرقهم الكثير من الوقت لنقل الاحساس باللمس إلى شبكة انترنت وكانت العقبة التي واجهتهم هي تحقيق ذالك الإنجاز باستخدام ماوس قوي وكانت التقنية المتبعة لذلك هي : عمل الكتروميكانيكي يقوم بترجمة المعلومات الرقمية إلى حاسة لمس طبيعية بحيث تتمكن من الاحساس بالمعروض على الشاشة عن طريق استخدام الماوس .

وتقوم تقنية Touchsense التي أنتجتها شركة Immersion محرك في منتهى الصغر يستخدم مشغلات مغناطيسية Magnetic Actuators ومجسات مع معالج دقيق وبرمجيات من إنتاج Immersion وتمت ترجمة كل احساس لمسي إلى معادلة رياضية بحيث يقوم المعالج بمحاكاة عدد من الأحاسيس اللمسية بسرعة ، فقد تشعر بالمقاومة عند سحب اطار معين أو سوائل أو اهتزازات أو

بحركة نوابض حين يمر مؤشر الماوس فوق أيقونات أو أزرار أو قوائم . (نقل الأحاسيس عبر الماوس مجلة بي سي – عدد مارس 2001 ، ص: 14)

سوف تتغير طريقة استدعاء برامج الكمبيوتر من عملية النقر بواسطة الفارة (الماوس) إلى استخدام حاسة اللمس بعد ابتكار واجهة استخدام تتجاوب معها ، والتي اصطلح على تسميتها بـ Haptics وهي مشتقة من الكلمة اليونانية Haptein والتي تعني " اللمس " . سوف تمكن المستخدمين بتحريك ونقر ولمس الأهداف الافتراضية بمجرد الضغط على شاشة الكمبيوتر بأصابعهم .

وقد سبق أن تم استخدام هذه الطريقة في بعض ألعاب الفيديو التي يستخدم فيها العصا لتحريك عناصر اللعبة والتي تمكنهم من الاحساس بالاهتزازات أو القوة الدفع المرتدة أو حركة المقود أو التمايل . والآن سوف تنقل تكنولوجيا Haptics من قمرة العصا المرتبطة بألعاب الفيديو إلى شاشة الكمبيوتر . ومن المتوقع أن تفي هذه التقنية بحاجة اللمس عند المستخدمين ، وأن تصرفهم من استخدام الفارة إلى استخدام أداة بحجم القلم ، ستمكن الفنانين من الرسم ، كما ستمكن الأطباء المتدربين من لمس مريض افتراضي على الشاشة . (The New York Times Feb 25,1999)

تكنولوجيا الاتصال وعلاقتها بحرية الإبداع والديمقراطية في المجتمع:

يبدو لأول وهلة أن تقنيات الاتصال سوف تتيح حرية لامثيل لها في استقبال المعلومات وتداولها كوسيلة جماهيرية– والإنترنت كوسيلة للنخبة في الوطن العربي – مثال واضح على ذلك . ولكن الواقع في عالم الإنترنت غير ذلك، إذ يمكن حجب مواقع سياسية أوفنية غيرها عن طريق البروكسي Proxy .

وكذلك إلى أي مدى يمكن أن تخدم تقنيات الاتصال وتطبيقاتها الإبداع الذي تعودنا عليه باعتباره إنجازا بشريا يعتمد على جهد الانسان وخياله ومهارته الشخصية ؟

رأى دينس مكويل Denis McQuail بأن المبالغة في استخدام مصطلح الحرية جعلت من الصعب منافشته بطريقة جديدة ، لكنه اعتبره المبدأ الأساسي لأي نظرية للاتصال العام ويرى أن حرية الاتصال تستدعي عدة رؤى ومفاهيم تختلف درجة وضوحها وهي :

- غياب الرقابة والترخيص أو أي شكل من أشكال الرقابة الحكومية(وهو مفهوم واضح جدا).
- الحق المتساوي للمواطنين كافة في حرية استقبال الأخبار والآراء والتعليم والثقافة (الحق في الاتصال) وهو مبدأ واضح .
- حرية وسائل الإعلام في الحصول على المعلومات من المصادر ذات الصلة بها ،وهذا المبدأ أقل وضوحا .
- غياب التأثير الخفي لمالكي وسائل الإعلام أو المعلنين على اختيار الأخبار والتعبير على الآراء، وهذا المبدأ أقل وضوحا .
- أن تكون سياسة كتابة الافتتاحيات فعالة وانتقادية في تقديم الأخبار والآراء ، وتكون سياسة النشر ابتكارية ومستقلة فيما يخص الفن والثقافة ، وهذا المبدأ مرغوب ولكنه اختياري (Denis McQuail : 1995: .p .246)

إن المفهوم الثاني الذي تحدث عنه مكويل والذي يقترح (الحق في الاتصال) باعتباره مفهوما واضحا يفرض تحديات أساسية بالنسبة لحقوق الشعوب الاتصالية وحريتها في الاختيار من حيث امتلاك الهوية القومية وخصوصيتها الثقافية والفنية ، إذ أن وسائل الاتصال في ظل القرية العالمية ستقوم بتشبيك العالم اتصاليا ، وسيزداد تدفق الاتصال باتجاه واحد ، وهذا سيقود إلى تشظية

المجتمعات ، التي تتنوع فيها الثقافات والأعراق ، بحيث يزداد توجه الشعوب نحوالتمسك بقومياتها وتعزيز ثقافاتها وهوياتها الخاصة، أي أن القرية العالمية ستكون قرية كونية ذات قبائل قومية عديدة ومتنوعة .وسيؤدي ذلك إلى زيادة قاعدة المتخصصين وتطوير كفاءاتهم على امتداد العالم.في المجالات العلمية والتكنولوجيا

- وفي المجالات الثقافية والفنية والقضايا الجدلية(في مجال العلوم الإنسانية والاجتماعية) وسوف تقود النخب الثقافية إلى تكريس خنادقها الثقافية والدفاع عنها.

ستوفر شبكات الإنترنت قاعدة تفاعل ثقافي نخبوي دولي يؤثر عملياً في خلق نخبة عالمية قادرة على التفاعل، وخصوصاً فيما يتعلق بالمشكلات الدولية والقضايا الاقتصادية العالمية، ويمكن أن يكون لهذه النخبة –باعتبارها قادة رأي في مجتمعاتها– دور كبير في التأثير على مجتمعاتها.فوسائل الإعلام الدولية مثل الأمريكية CNN، والبريطانية BBC، والفرنسية TV5، وغيرها وكذلك الصحافة الراقية الغربية مثل نيويورك تايمز ومجلة تايم ونيوزويك ودير شبيجل ولوموند وغيرها والتي تتوفر إلكترونيا ، سوف توفر جميعها مناخا لصناعة رأي عام دولي في القضايا الدولية ذات الطبيعة غير الجدلية والإنسانية ما دام موضوعها لا يتعارض مع الهموم أو المصالح القومية، ولا يؤثر في الخصوصية الثقافية في المجتمع مثل قضايا البيئة، والحريات والديمقراطية.(صالح أبوأصبع 1997: أ)

في ظل تطورتكنولوجيا الاتصال وهيمنتها فإن مسألة حرية وسائل الإعلام وديمقراطية الاتصال في المجتمع، وما لهما من تأثيرات على الإبداع .

- الجانب القانوني والأخلاقي لما تقدمه تكنولوجيا المعلومات عبر المواقع المختلفة في الإنترنت والتي تشمل حقوق التأليف / المواقع الإباحية / اختراق

الخصوصية / استغلال الأطفال وإغواءهم / ....إلخ وتأثيراتها على القيم والثقافة السائدة .

- إن حرية تدفق الاتصال عبر الانترنت ، لن تبقى مفتوحة كما هي الآن حيث أن ظواهر الاختراقية والانقلات غير المسئول في بعض المواقع سوف تجعل من عملية فرض الرقابة والسيطرة على المعلومات أمرا مقبولا .

ونحن نلاحظ الآن أنه في الكثير من البلدان العربية تقوم مؤسسات الاتصال التي تزود خدمات الانترنت بحجب بعض المواقع الذي يعتبر مشيئا بالا داب العامة ، والبعض الآخر الذي يشكل نقدا لنظام الحكم.

- إن جوانب السيطرة والتحكم في تكنولوجيا المعلومات ليست هي العامل الحاسم في مسألة الثقافة والإبداع ولكن ذلك يتعداه إلى السيطرة على إنتاج المعلومات وتوزيعها . ولذلك فإن هيمنة الشمال على المعلوماتية تفرض تحديات أساسية للثقافات المختلفة تستدعي القدرة على التفاعل والمواجهة .

- إن حرية الشعوب وحرية اختيار فكرها ، لا يحققها تدفق المعلومات ، إذا لم يكن هناك توازن فيها ، وبعبارة أخرى لا يمكن التعويل على نظام عالمي جديد منفتح الآفاق ، في ظل وجود عالم غني يمتلك المعلومات وتقنياتها وأدواتها وعالم فقير محروم منها .

1-إن التوجه نحو التلاقي والاندماج في عالم الاتصال سيقود إلى نوع من السيطرة على المعلومات مما يؤثر على قضية الحرية من حيث نوعية المعلومات التي تصلنا .

2-إن تجربة المعلوماتية على الرغم من إتاحتها الفرصة الديمقراطية للتفاعل والتواصل ، إلا أنها في طبيعتها لا يمكن تجاوز السلطة التي تفرض النص وتقترح النص المفرع والإحالات من داخله إلى نصوص أخرى ومواقع أخرى .

الأدب والإبداع وتكنولوجيا المعلومات

يرى د.محمد عبيدالله أننا نجابه تحولاً جديداً لم يكن متخيلاً أو متصوراً من قبل ، يتمثل في الكتابة الإلكترونية أو التقنية ، التي تمثل كتابة بلا أوراق ولا أحبار ، حيث تكتب وتعالج وتستقبل وتتداول دون كتابة أو طباعة بالمعنى المعروف ، وفي غير سياق نسمع المخاوف ذاتها في الغرب والشرق .. الخوف على الكتاب والمكتبات ، والترحم على الآداب والفنون ، وعلى كل ما ينتمي إلى الحقب السالفة ... تعد دراسات وبحوث متفاوتة الدقة والجودة حول الأنماط الجديدة ، لكن جوهرها الخوف على ما أنجزته الثقافات فيما مضى وخصوصاً على الكلمة المطبوعة ، أمام مداهمة تكنولوجيا المعلومات واحتمالاتها المتعددة . (د. محمد عبيد الله2004)

ويذهب حسام الخطيب إلى أن استعمال كلمة "المعلوماتية في الأدب يميل بها ميلاً قوياً على الحاسوبية، أي استخدام الحاسوب لجمع المعلومات والنصوص وتصنيفها وتحليلها وتفكيكها وإعادة تركيبها، بل يصل الحد إلى درجة إبداع النصوص من خلال الحاسوب". (حسام الخطيب ورمضان بسطاويسي، آفاق الإبداع ومرجعيته في عصر المعلوماتية،دار الفكر، دمشق، ط1، 2001، ص 18.)

أما عن مرجعية النص الأدبي في عصر المعلوماتية فيقول الخطيب بأن "الدور المتعاظم للمعلوماتية وثورة الاتصال في خلق مناخ الذات الاجتماعية من جهة، ومن جهة أخرى مكملة للأولى، دور الحاسوبية والمغامرة التكنولوجية في هزّ مرجعية الخيال الأدبي، والتحريض على نشوء آليات جديدة لإنتاج النصوص ربما تحمل مها مرجعيتها النوعية، وقد تنتقل بالمرجعيات والإحالات للسانيات والسيميائيات إلى مرحلة نوعية جديدة" (حسام الخطيب ورمضان بسطاويسي، المرجع نفسه 2001، ص 49.))

وترى د.فريال مهنّا أن النّص الإلكتروني ، ليس نصاً كتابياً ، كالذي ألفناه في عصر الطباعة ، وقد شاع مصطلح Hypertext كتسمية للنص الجديد ، وقد أطلق عليه بالعربية تسميات كثيرة (كاجتهادات في تعريبه) منها : النص المفرّع ، النص الممنهل ،النص الفائق ... وقد أطلق عليه هذا الاسم لأول مرة تيد نيلسون عام 1981م ، وقد وصفه بأنه " كتابة غير تتابعية ، ونص يتفرع متيحاً للقارئ أن يختار ، وبأنه نص قابل للاستهلاك بشكل أفضل أمام شاشة اتصال تفاعلي ، ويتألف من جملة مقاطع نصية تنشأ فيما بينها روابط تسمح للقارئ بمسارات متباينة ، ويعدّ نيلسون النص الممنهل ، تقانية جديدة تحطم المفهوم التقليدي للنصية ، كونه يتألف من كتل كلامية متصلة إلكترونياً عبر مناح متعددة ، عبر سلاسل أو آثار شبكة مفتوحة ، أي شبكة إحالات تفتح حواف النص وحدوده ، متيحة إمكانية تعددية التقاطعات"(فريال مهنّا،: ،2002،ص 585).

لا شك أن ما توفره الكتابة الإلكترونية للنّص الإلكتروني ولقرائته من إمكانيات تؤثر على العملية الإبداعية من زاويتين:-

زاوية الكاتب / المبدع.

زاوية القارئ / المتلقي.

في ما يتعلق بالقارئ / المتلقي فإنه أصبح الأمر بالنسبة له أكثر انفتاحاً وأكثر صعوبة في آن واحد. فالنص المفزع الذي ينقل الباحث في الشبكة العنكبوتية ينقله عن نص إلى آخر، ومن إحالة إلى أخرى، وهذا مما يغرقه في كومة من المعلومات ضخمة التي تشعره بالإحباط. والمرء يعزيه حب الاستطلاع والتعرف على المزيد، وهذا عامل هام في التعامل مع النصوص في الانترنت والقارئ الذكي مهما كان ذكاؤه سوف يخضع لإغراءات النصوص التي تبعده عن

قراءاته الأساسية. ومن هنا فإن ما تقدمه تكنولوجيا المعلومات للقارئ حول نقد لنص إبداعي – على سبيل المثال – سوف تجول به وسعه عبر إحالات ونصوص ومواقع قد تكسر إيقاع متعة القارئ التقليدي للكتابة التقليدية. إن هذا الأمر لا يمكن حله بالنسبة لجيل تقليدي من القراء أمثالنا الذين اعتادوا أن يحملوا الكتاب بين أيديهم وتكون أمنيتهم وعقولهم وذاكرتهم منصّبة على النص، يستمتعون به قراءة واستذكاراً نقداً.

أما بالنسبة للأجيال / القارئين الناشئين / في أحضان الحاسوب فإنهم سيتعاملون بطريقة مختلفة تعتمد خبرات جديدة لقراءة النصوص.

أما فيما يتعلق بالكاتب / المبدع فإن ما توفره الرؤية البصرية والتلاعب بها سوف توفر إمكانيات كبيرة للمبدعين في مجال الأدب. فالشاعر على سبيل المثال يمكنه أن يلعب بكلمات قصيدة بطريقة بصرية سواء كان ذلك بتقطيع أحرفها، أو توزيعها على الصفحة بطريقة تقترب من الرسم، أو استخدام أنماط خط مختلفة وأحجام مختلفة لتوصل بالإضافة إلى دلالاتها اللغوية والبلاغية معاني إضافية.

بل ويمكن استخدم الصور والرسوم وتضمينها في نصه وكذلك الأمر بالنسبة للروائي أو القاص الذي يمكنه أن يتضمن نصه رسوماً أو صوراً ترتبط بالنص. ومع التطور إلى جيل الآن في مجال مخاطبة حاسة الشم فقد يصبح بمقدور شاعر يكتب قصيدة عن وردة الياسمين أن يبث معها شذى الياسمين.

ويرى فخري صالح أن التكنولوجيا المتطورة تقلص الخيال لأنها قادرة على تحويل الخيال إلى حقيقة قريبة من رؤوس الأصابع. إنها تصل مستخدمها بأقصى نقطة يحلم بالوصول إليها. تقربه من المكتبات البعيدة، والأقلام المنتجة حديثا، ودور عرض اللوحات والمنحوتات في أقصى أطراف الأرض، ومن الصحف والمجلات الصادرة للتو في عواصم بعيدة. كل ذلك ينتقل إلى المرء في

دقائق معدودات بنقرة من أصابعه على لوحة مفاتيح الحاسوب أمامه. فخري صالح : معرفة قريبة من رؤوس الأصابع عن الثقافة والمعلوماتية مجلةعمان العدد(110) آب 2004 ص- (65)

صلة تكنولوجيا الاتصال بالإبداع :

إن موضوع العلاقة بين الإبداع وتكنولوجيا الاتصال ليست علاقة تنافر ، إذ يشير المستقبل إلى أن المبدعين وخصوصاً أولئك القادمين مع المستقبل من الأجيال التي ترّبت في أحضان الحواسيب والإنترنت سوف يفيدون من إمكانيات تكنولوجيا الاتصال التفاعلية وقدرتها على مخاطبة أربع حواس على الأقل .

وستظل التكنولوجيا هي وسيلة يمكن توظيفها بطريقة إبداعية ، ما دام الحس الإبداعي والموهبة الخلاقة موجودة لدى بني البشر ، والخيال الإنساني ينمو مع نمو تجاربه ، وتوفر تكنولوجيا المعلومات فرصاً لاختبار الإبداع كما لم يختبره الإنسان من قبل ، من خلال الواقع الافتراضي ، والتفاعل مع الآخرين بتجاوز حدود الزمان والمكان .

كما أشار أكثر من باحث ستظل قضية صلة تكنولوجيا الاتصال بالإبداع قائمة وتشكل تحدياً ، وستكون العلاقة الجديدة باستخدام الحاسوب ، بل وبالقلم الحاسوبي إذا كنا لا نريد استخدام لوحات المفاتيح ، وسيلة لعلاقة جديدة بالإبداع إنها تقدم آفاقا جديدة تخلق إحساساً جديداً وتجربة جديدة لإبداع جديد مختلفا عن الطريقة التقليدية. ولذلك فإن عصر المعلومات يخلق كما يخلق كل عصر أسطواته حسب تعبير د. نبيل علي ، ولكن الإبداع يحتاج إلى شيء إضافي للحرفية والمهارة المكتسبة التي يزاولها المهنيون الجدد في عصر المعلومات .

ولذا فالإبداع في منجى من خطر تهديد الحرفيين ، إذا امتلك المبدعون مهارات التعامل مع أساليب المعلوماتية الجديدة ووظفوا رؤاهم الإبداعية ومخزونهم الثقافي مما يبرز هُويتهم الثقافية المستقلة .وتقدم تكنولوجيا الاتصال إمكانيات لا حدود لها للمبدعين في مجال الموسيقى والرسم والتصميم الجرافيكي ،وكذلك أصبحت البرامج الحاسوبية المتخصصة في الجرافيك والنشر المكتبي والتي توفر إمكانيات الرسم ثنائي الأبعاد وثلاثي الأبعاد إمكانات هائلة في مجالات السينما والتلفزيون وإنتاج الرسوم المتحركة. وعلى سبيل المثال ، أصبح في الإمكان المزاوجة بين شخصيات الرسوم المتحركة والشخصيات الحية في عمل فني مشترك مثل فيلم Roger the Rabbit ، وكذلك استخدام شخصيات خرافية في الأفلام التي تم تصميمها حاسوبيا، واستطاعت برامج الحاسوب أن تقدم إمكانات هائلة في تقديم عروض سينمائية متميزة مثل أفلام Lord of the Ring ,Troy ,Harry Potter & Spiderman

- البرامج التعليمية المساعدة البرامج المستخدمة فى عمليه التدريس :

مما لاشك فيه أن وجود البرامج التعليمية المساعدة (help)– والتي أًصبح من الضروري تواجدها مع جميع البرامج الجاهزة–أعظم وسيله تعليمية ظهرت حتى الآن خاصة مع تقدم تكنولوجيا الحاسبات والجرافيك والبرامج المتاحة حاليا لبناء هذه المساعدات التدريبية،وهذا الجزء يقدم بعض البرامج المستخدمة فى بناء المواد التعليمية مع بيان بعض مميزاتها وعيوبها.

1–برنامج Board Story: يعتبر هذا البرنامج من أوائل البرامج المستخدمة فى بناء العروض وبعض المناهج للمواد التى تحتاج لوسائط متعددة.وقد بدأ استخدام هذا البرنامج مع نظام التشغيل dosللحاسبات الشخصية المتوافقة مع

حاسبات أى بى أم.وبالرغم من الإمكانيات الهائلة التى يعطيها هذا البرنامج إلا أن له بعض العيوب الجانبية منها:حجم الملف (الملفات) التى يتم تصميمها لعمل العروض به يكون كبير جدا،وكذلك أوامر التشغيل معقده إلى حد ما ،والملفات الناتجة يتم تخزينها فى صوره تسمى pict format يصعب التغيير فيها بعد إنشاؤها حيث أن التخزين يكون فى صورهraster أىmap bit وكذلك فانه يصعب تحويل هذه الملفات إلى الملفات التى تعمل ببرامج التشغيل windows ولا يمكن تشغيل هذه النوعية من الملفات على شبكات الحاسب نظرا لوقت تناقلها بين الحاسبات.

برنامج Author Ware: هذا البرنامج له إمكانية هائلة ليس فقط فى إنتاج برامج تعليمية وعروض ولكن أيضا فى إنتاج أفلام تليفزيونية وكارتون نظرا لما لهذا البرنامج من أدوات متعددة فى إعداد الصور المتحركة وإضافه أصوات وأفلام فيديو بالإضافة إلى إضافة النصوص وتحريكها بأشكال وألوان وخلفيات رائعة.ولكن هذا البرنامج له عيوب بالإضافة إلى معظم عيوب البرنامج السابق فانه غالى الثمن ويحتاج إلى تدريب لمدة طويلة ويحتاج حاسبات ذات إمكانيات عالية من الذاكرة ووسائط التخزين وكروت خاصة لتشغيل الوسائط المتعددة. وبالتالى فانه لا جدوى اقتصادية لاستخدام هذا البرنامج كمرشح ليكون أداة تنفيذ مناهج تعليمية على شبكات الحاسب فى الجامعة(هذا لا يقلل من شان البرنامج فقد تم تنفيذ العديد من المناهج التعليمية للتليفزيون الماليزي ومشاريع أخرى جديدة لبناء مناهج للثانوية العامة).

2-برنامج Mind Director Macro: له نفس خواص برنامج **Author Ware** ولكنه يتميز بمميزات أخرى انه يمكن العمل به أيضا على حاسبات ابل ماكنتوش ويمكن تخزين العرض فى صوره أفلام فيديو quick time

moviesولكن لا يزال له نفس العيوب سواء التكلفة العالية أو التدريب التخصصي العالي أو حجم الملفات الكبير نسبيا وكذلك عدم إمكانية تداول هذا النوع من الملفات خلال شبكات الحاسبات . وأيضا يوجد الكثير من المناهج العلمية والعروض التخصصية التي تم بناؤها بهذا البرنامج ولكن ليس هناك جدوى اقتصادية لاستخدام هذا البرنامج لإنتاج مناهج تعليمية للقاعدة الطلابية.

3-برنامج الباور بوينت: Power Point يأخذ هذا البرنامج شعبيته وانتشاره من شعبيه وانتشار نظام التشغيل Microsoft windowsوالذي فرض نفسه خلال العقد الحالي،حيث أن برنامج Power Pointجزء من برامج Microsoft office والتي أصبح وجودها حتميا من مكونات مجموعات البرامج المباعة مع أجهزه الحاسبات الشخصية. ونظرا لسهوله تعلم واستخدام هذا البرنامج فقد أصبح فى الآونة الأخيرة أكثر البرامج شيوعا في الاستخدام لإعداد العروض أو المحاضرات الهامة.ولكن هذا البرنامج به عيب خطير جدا جعله محل استفهام من الكثير من المتخصصين حيث إن متوسط حجم الملف المطلوب لعمل عرض(يحتوى على صوت وصور)مدته نصف ساعة يتعدى عشرة ميجابايت ناهيك عن احتماليه حدوث عطب فى هذا الملف الكبير أثناء تصميمه إذا ما انقطع التيار الكهربي أثناء عمليه تخزين الملف (هذا العطب مشهور بين مستخدمي هذا البرنامج). وغيرها من البرامج (مستقبل التربية والتعليم في ماليزيا : *دراسة تطبيقية في جامعة العلوم الإسلامية بماليزيا* أسماء بنت عبد الرحمن)

تأثير التكنولوجيا –وخاصة الكمبيوتر –على التصميم الجرافيكي :

ارتبط التصميم الجرافيكي كعمل فني إبداعي بالتعامل مع الكلمة والصورة واللون والفكرة والشكل لتوصيل الرسالة للجمهور. ظل التصميم الجرافيكي يتم تنفيذه– بشكل رئيسي– من قبل ذوي مهارات يدوية خاصة مما يتطلب امتلاكهم الرؤية الإبداعية والدقة والمهارة مع استهلاك المزيد من الوقت لإنتاج العمل الفني ، تمتد إلى مرحلة ما قبل تجهيز أفلام الطباعة.

وحقق استخدام الكمبيوتر على التصميم الجرافيكي ثورة في مجال النشر المطبوع والإلكتروني فتحت المجال امام المصمم الجرافيكي للعمل بحرية وعرض أعمالهم بسلاسة

((في حقل تصميم الجرافيك ، ظهرت العلاقة واضحة من خلال مجموعة البرامج الخاصة في التصميم والتي تتعامل مع النص والصورة، فكانت سبباً في رفع وتيرة تطور حقل التصميم، في وقت كانت تقنية الاير برش من التقنيات المتقدمة التي يعتمد عليها المصمم في تنفيذ تصميمه، اولى الشركات التي ساهمت في ايجاد برامج التصميم كانت شركتي ادوبي وكوارك اكسبرس، وقد فتحتا آفاقاً وابواباً مهمة لتصميم الجرافيك، وكان لمجلة عالم الحاسوب الشخصي PC World فضل في تقديم الشبكة العالمية World Wide Web في عام 1989 هذه التقنيات وغيرها .)(مستقبل تصميم الجرافيك... كيف سيكون؟ أ.عصام أبو عوض2005)

إذن حقق استخدام الكمبيوتر ثورة في مجال النشر المطبوع والنشر الإلكتروني والانتاج السينمائي والتلفزيوني من خلال تطورات مذهلة، فيما يتعلق باستخدام برامج النشر للإخراج الصحفي والمونتاج التلفزيوني، والبرامج الحاسوبية الجاهزة لإعداد صفحات شبكات الإنترنت، وبرامج الرسم الفني والهندسي وإعداد البرامج

التعليمية باستخدام برامج جاهزة خاصة للتصميم مكنت الفنانين والمصممين والافراد العاديين من استخدامها في تنفيذ تصاميمهم باستخدام مجموعة من البرامج نذكر منها:

Adobe Illustrator,Corel Draw, Pagemaker, Quark Xpress, Macromwdia Flash, Paintshop Pro, Adobe InDesign , Adobe Photoshop,

وغيرها من العديد من البرامج التي تختلف في قدراتها ، مما يجعل المصمم البرنامج المناسب لتحقيق أهدافه ، بما يتوافق مع آليات مطلوبة بعد التصميم وخاصة في عمليات ما قبل الطباعة، آو عند العمل لتصميم المواقع على شبكة الانترنت.

• موقفان من برامج التصميم الحاسوبية لمحترفي /مصممي التصميم الجرافيكي

أصبح التصميم بالكمبيوتر ليس حكرا على أيدي المحترفين وذوي المهارات الفنية واليدوية الخاصة ، مما أدى إلى زيادة العاملين في هذا المجال بعد أن كان تخصصاً لفئة محترفة محدودة تعمل فيه.

التوجه الايجابي كان مثمناً للكمبيوتر دوره في اختصار عامل الوقت والجهد المبذول، وللبرامج التي يمكن السيطرة عليها لتطوير الفكرة وتوصيل الرسالة، وقدرة البرامج في التعامل مع الصورة ومجالاتها ودمجها وتركيبها، وتنوع الحروف وسهولة التعامل معها، فكان للكمبيوتر دوراً في تخفيض كلفة الإنتاج في بعض الأعمال.

كان للكمبيوتر دور في تطوير علاقة المصمم بزبائنه، فأصبحت أكثر سهولة ويسر، حتى بلغ الأمر في ظل وجود شبكة الانترنت، عدم ضرورة قدوم الزبون إلى المصمم للإطلاع على التصميم.أما داخل المؤسسة فقد قلل من استخدام الألوان وأطباق الكرتون والأدوات الأخرى التي يحتاجها المصمم في فترة التنفيذ اليدوي.

الكمبيوتر فرض على المصمم ضرورة التواصل مع المدخلات والمخرجات، معرفة البرامج المستخدمة وكيفية التحكم في مخرجاتها، التواصل مع تكنولوجيا المعلومات، وتثقيف ذاته بمختلف التقنيات التي يحتاجها من خلال برامج التصميم.

وهكذا فإن تطور الكمبيوتر الدائم يفرض على المصمم التسلح بالمعلومة التي تمكنه من التعامل مع كل جيل من أجيال الكمبيوتر القادمة، تقنياً وطرق تعامل مع الأدوات المتاحة وبرمجة وغيره مما قد يتعرض له المصمم، فهو مطلوب منه الإبداع والابتكار كل يوم .)

مستقبل الإبداع مع الحرية والتقدم التكنولوجي للاتصال:

لا يمكن النظر إلى الإبداع إلا من خلال نظرة متكاملة تأخذ في اعتبارها موضوعة الحرية وتكنولوجيا الاتصال وهذا يستدعي ما يلي :

أولاً : التفريق بين المعلوماتية وتكنولوجيا المعلومات .

ثانياً الاندماج الحاصل بين وسائل الاتصال المختلفة كأقننية للمعلومات .

ثالثاً : التقنية المتطورة في كفاءة وحجم ورخص نقل المعلومات باستخدام الفايبر أوبتكس والأقمار الصناعية .

رابعاً : الجانب التفاعلي لتكنولوجيا المعلومات وقدرتها الحالية إلى مخاطبة الحواس السمعية والبصرية والشمية (وهي تقنية أصبحت متطورة) بينما الحاسة اللمسية في موضع الاختبار والتطوير .

خامساً : أصبح تدفق الاتصال العالمي متاحا بحيث لم يعد المرء القادر على الاتصال أن يتابع فيض المعلومات التي تصله ، والتي يقع تحت اغائها وتشكل ضغطا عليه . إن سهولة الوصول إلى المعلومات وفيضانها سوف تؤثر على طبيعة استغلالنا لها . ومن ثم فإن حجم البيانات التي تتوافر ستقود إلى الحاجة ليس فقط الوصول إليها بل إلى فن استخدامها خشية أن يغمرنا طوفانها مما يقودنا إلى اللامبالاة بها

سادساً :إن إغواء الترفيه في شبكة الإنترنت ، وما يُوفره الميل والرغبة الطبيعية للمرء للراحة والتسلية ستقود إلى التوجه نحو المواقع الترفيهية كاالألعاب والموسيقى وغرف الدردشة مما يقود إلى عزوف الأجيال الجديدة عن مواقع الثقافة الراقية ومواقع المعلومات الجادة ومن ثم فإن الثقافة الجماهيرية تميل إلى التسطيح وتهدد الثقافة الراقية .

سابعاً :

ثامناً : إن الفجوة القائمة بيننا وبين الغرب في تكنولوجيا المعلومات ليست قروناً ولكنها في أسوأ أحوالها عقوداً إن لم تكن عقدين فحسب ، وهي تجربة إنسانية عامة في ثقافتها والقلم في كتابتها ، وبين الأجيال الجديدة الحاسوبية التوجه .

الهُوية الفنية والثقافية وعلاقتها بالإبداع وتكنولوجا للاتصال:

كما أشار أكثر من باحث ستظل قضية صلة الإبداع والهُوية قائمة وتشكل تحدياً ، وستكون العلاقة الجديدة باستخدام الحاسوب ، بل وبالقلم الحاسوبي إذا كنا لا نريد استخدام لوحات المفاتيح ، وسيلة لعلاقة جديدة بالإبداع ،وإحساس مختلف عن الطريقة التقليدية إنها آفاق جديدة تخلق إحساساً جديداً وتجربة جديدة لإبداع جديد . ولذلك فإن عصر المعلومات يخلق كما يخلق كل عصر أسطواته حسب تعبير د. نبيل علي ، ولكن الإبداع يحتاج إلى شيء إضافي للحرفية والمهارة المكتسبة التي يزاولها المهنيون الجدد في عصر المعلومات .

ولذا فالإبداع في منجى من خطر تهديد الحرفي ، إذا امتلك المبدع مهارات التعامل مع أساليب المعلوماتية الجديدة ووظف مخزونه الثقافي مما يبرز هُويته الثقافية المستقلة .

: إن أي ثقافة لها آلياتها في الدفاع عن ذاتها ، ونظرة سريعة إلى ما تم إنجازه بجهود فردية وجهود رسمية في مجال المعلوماتية يرينا إلى أي حد كانت هناك استجابات لإنشاء مواقع عربية ، لأفراد ومؤسسات خاصة وحكومية ، تجعلنا لا نُصاب بُرهاب تكنولوجيا المعلومات ولكننا نشعر بأنه بإمكاننا أن نغذَ الخطى في مجال استخدام تكنولوجيا المعلومات لتكون آلية ووعاء لنقل الثقافة العربية وتعزيزها. إن تشبيك العالم عبر الإنترنت والقنوات الفضائية وبرامجها التليفزيونية التي تبث عبر الحدود، سوف يقود إلى مراجعة إدارات وسائل الاتصال لقدراتها وللتكيف مع هذه الظروف المستجدة من التطورات التكنولوجية السريعة والمتلاحقة بهدف التوائم مع تدفق الاتصال الأجنبي والعربي ، وما يفرضه من تحديات قومية. فالقرية الكونية المشبّكة إلكترونيا لن تغير هوية ثقافة الأمة العربية ،

ولكنها ستقود إلى تفاعل يثريها. وهذا التبادل التفاعلي سيساعد في تطوير ثقافات شعوب العالم وسيقود إلى حضارة جديدة.

إن التعدد الثقافي وتنوعه لا يواجه خطر الانصهار في بوتقة واحدة في ظل العولمة الاتصالية كما يتوهم البعض ، بل إن ما يتحقق اليوم كما أشرنا في أكثر من دراسة في ظل قرية كونية اتصالية بأن التوجه العالمي يميل إلى تعزيز الشخصيات القومية ، والتي أسميناها بقبائل القرية الكونية ، حتى في الولايات المتحدة لم تعد وسائل الاتصال بما فيها الإلكترونية عامل صهر بل أصبحت عامل تشظية في المجتمع ، فالعرب الأميركان يشاهدون الفضائيات العربية ويتفاعلون مع المواقع الإلكترونية العربية ..... إلخ وهكذا الأميركان من الأصول القومية المختلفة .

مستقبل الإبداع مع التقدم التكنولوجي :

ماذا تقدم إذن هذه التكنولوجيا المتطورة لإبداع الإنسان ولحريته ؟

بلا شك أن أي تطور تكنولوجي يحمل معه إيجابياته وسلبياته .

فإذا تساءلنا عن التطبيقات والتضمينات التكنولوجيات الاتصالية في مجال الإبداع والحرية تتمثل فيما يلي :

يوفر تدفق الاتصال الإعلامي للمرء حرية أكبر في اختياراته وفي تعرضه للرسائل الإبداعية.

إن التواصل الذي أصبح ميسرا بين الأفراد عبر الإنترنت والفضائيات سيقود إلى المزيد من الحرية الاجتماعية والسياسية ،وهذا سيؤدي إلى تفاعل الجماهير يزيد من دورها في التأثير على مناشط الحياة العامة .

فيضان المعلومات عبر الانترنت ، حتى في مجال التخصص الدقيق لن يظل مفتوحا بالمجان ، وحرية الاختيار المتاحة له الآن تجعل من ضخامتها عبئا ثقيلا من حيث قرار ما يختار وما يمكنه ان يهمل ، والمرء الذي يجمع بيانات من الإنترنت يعاني عند جلوسه لفرز المعلومات التي جمعها من التخلص مما يمكنه الاستغناء عنه

سيوفر الكتاب الالكتروني نقلة نوعية في حجم المعلومات التي تقدمها وفي تخطي حواجز الرقابة التقليدية .

ما تقدمه تكنولوجيا الاتصال الآن من تسهيلات ايجابية في عالم الصحافة والسينما والتلفزيون والألعاب الإلكترونية باستخدام برامج حاسوبية تساعد في الرسم والتصوير والتلوين والصوت والموسيقى والمؤثرات يجعل الإبداع يأخذ منحى جديدا في المزاوجة بين عناصر متنوعة مثل اللون والحركة والرائحة واللمس مما سيكون له تطبيقاته في عدة مجالات مثل :

الرسم .

إضافة الموسيقى .

إضافة الروائح .

إضافة اللمس .

خلق (الواقع الافتراضي)

تحريك الخيال .

تعلم المهارات الأساسية .

اختصار الوقت (الرسوم المتحركة) .

تفاعل الإنسان مع الفنون حينما يتاح في يده عبر الهاتف الجوال نقل المعارف واستقبال الإذاعة والتلفزيون والرسائل

المؤثرات الصوتية والحركية والخدع السينمائية

تضمينات وخاتمة:

أوضحنا في الصفحات السابقة التطورات التكنولوجية وتطبيقاتها في مجال الاتصال والمعلومات وعلاقتها بالإبداع ، وتشمل التحديات التكنولوجية القدرة على مواكبة التطورات التكنولوجية لتحسين الأداء الاتصالي ، وتحديث المعدات الاتصالية ، والسرعة في التعامل مع أشكال الاتصال الجديدة النى ستطرح تحديات جديدة في مجالي الحرية والإبداع .

ومن خلال ذلك يمكننا الخلوص إلى ما يلي :

1. حرية الإعلام وحرية التعبير من أولويات العمل الإعلامي الهادف إلى تشكيل رأي عام مستنير وملتزم و هي محكومة بمصالح الأنظمة وإرادتها وسيطرتها وتشريعاتها، ولذا فإن التفاعل الاتصالي المتاح الآن سيزيد من توفير حرية الاتصال للشعوب والإعلاميين والأفراد .
2. وفرة المعلومات وسهولة الوصول إليها وفيضانها سوف تطرح تحديات للعملية التعليمية والتنشئة الاجتماعية. وخصوصا باستخذام الكتاب الإلكتروني والفضائيات ، مما سيفسح المجال للتعرض لخبرات عالمية ويترك الباب واسعا أمام حرية الاختيار وتوسيع الآفاق وتطوير المواهب .

- من أولويات العمل الإعلامي تشكيل رأي عام عالمي.إن إدراك الدور القومي لوسائل الإعلام العربية – والذي تمتد مساحته على امتداد الكرة الأرضية – يُحمّلها أعباء جديدة للوصول إلى جمهور عربي كوني في القرية الكونية المشبّكة إلكترونيا مرتبطة بتكنولوجيا الاتصال ومضمونه المنافس والملبي لرغباتهم وحاجاتهم .
- التوجه العالمي لاندماج وسائل الإعلام المختلفة سيقود إلى احتكار وسائل الاتصال و التأثير على استقلالية القرار الإعلامي ،وعلى القضايا المرتبطة بالتوزيع ، وعلى السيطرة على مضامينها.
- الانفتاح في مجال الفضائيات وشبكة الإنترنت يجعل (لرسائلها الإعلامية) طبيعة مميزة وذات تأثيرات متعددة على مستوى الفرد والجماعة والمجتمع، مما يفرض عليها مسئولية اجتماعية وأخلاقية على المجتمع بمختلف فئاته ، تستلزم ضوابط ذاتية إذ أن الحرية في المجتمع ليست مطلقة ولكنها مرتبطة بالمسئولية الاجتماعية وبالمصلحة العامة.
- باتت الأنشطة الإعلامية ذات طبيعة تنافسية على مستوى عالمي، لقد أصبحت المحطات الفضائية التليفزيونية مثالا على ذلك وتقدم شبكات الإنترنت أيضا مثلاً على هذه العالمية ولذا فإن أخذ عالمية التنافس الإعلامي ضرورة لازمة في حسابات أي مؤسسة إعلامية مما له تأثيره على نوعية الأداء وإبداعه وظروف حرياته

يمكن أن نتصور مجمل الخدمات التي يتم تقديمها عبر شبكة الإنترنت التي يتمكن المرء من الوصول أو الدخول إليها وزيارتها وهذه بعضها:

- مواقع المعلومات والفضاءات الافتراضية.
- البريد الإلكتروني E-Mail
- الرسائل القصيرة الفورية S.M.S

- خدمات التسوق التجارة الإلكتروني E. Commerce
- خدمات إعلانية E. Advertisement
- المشاركة في غرف الدردشة
- مواقع الألعاب
- مواقع الموسيقى والأغاني
- مواقع الفنون التشكيلية
- المواقع الأكاديمية
- مواقع إعلامية تلفزيونية وصحفية
- الوصول إلى كتب الكترونية

مواقع استشارات /طبية /لياقة/ حكومية /دولية /منظمات مجتمع دولي /حقوق إنسان...الخ ويمكن للمرء أن يدخل إلى مواقع وسائل الإعلام والمواقع الفنية والثقافية والأدبية من خلال عدة مواقع أجنبية وعربية مثل :

www.Yahoo.com
www.altavista.com
www.cnn.com
www.infoseek.com
www.amazom.com
www.google.com
www.lycos.com
www.washingtonpost.com
www.newyorktime.com
www.ina.com
www.Arabia.com
www.sakhr.com
www.alsaha.com
www.arab.net
www.alraddadi.com

www.maktoob.com
www.almisbar.com
www.arabvista.com
www.swaah.com

المراجع:

* اعتمدت هنا على وثائق أساسية تم اعتمادها من خلال منظمات العمل العربي والدولي المشترك مثل الالكسو والايسسكو واليونسكو ومن خلال الوثائق الرسمية الأردنية كالدستور والميثاق الوطني وقانون المجلس الأعلى للإعلام.

1. (شون ماكبرايد ورفاقه (1981): أصوات متعددة وعالم واحد (الجزائر : اليونسكو والشركة الوطنية للتوزيع (356 – 366)

2. (نيصبات وابردين وبارتشيا(1991):الاتجاهات الكبربعام2000. ترجمةد.العجيلي السيري (مالطة: مركز دراسات العالم الاسلامي)

3. حسن م. يوسف (2001) الروائح الرقمية في حواسبنا الشخصية (مجلة بي سي – عدد ابريل 2001) ص: 48

4. صالح أبوأصبع (1999–ب–): تحديات الإعلام العربي (عمان: دار الشروق ص–ص 88-93.)

5. صالح أبوأصبع (–ب–1997): إدارة المؤسسات الإعلامية (عمان: دار آرام ،ص–ص88–93)

6. صالح أبوأصبع (1999–أ–): الاتصال الجماهيري (عمان: دار الشروق ص–ص 232-234.)

7. فادي سالم : كيف يخترقون حاسوبك الشخصي ؟ وما هو الحل ؟ الصادر في /مجلة بي سي– مارس 2001)

8. فادي سالم: (2001) اخترق الأنظمة الحكومية العربية! /مجلة بي سي– 2001)

9. مصطفى المصمودي (1982): النظام الإعلامي الجديد (الكويت :المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب) ص–ص . 17–19

10. هربرت ماركوز (1998): الإنسان ذو البعد الواحد .ترجمة جورج طرابيشي (بيروت : دار الآداب) ص.ص100–101 .

11. المستقبل الرقمي: للحوسبة الأجهزة المتعددة الوجوه مجلة بي سي العربية يناير 2001 : ص 73)

12. د. محمد عبيد الله2004موسم الهجرة إلى الحاسوب :من أناس جوتنبرغ إلى قرية بيل غيتس ورقة مقدمة إلى ندوة السياسات الثقافيةوزارة الثقافة الأردنية بالتعاون مع منظمة اليونسكو15–17/حزيران/2004

13. فريال مهنّا،بحث: الحرية والديمقراطية في العالم العربي، منظور اتصالي،في كتاب: الحرية والإبداع، تحرير ومراجعة عز الدين المناصرة وحسن عليان ومحمد عبيد الله، منشورات جامعة فيلادلفيا،2002،ص 585.

14. حسام الخطيب ورمضان بسطاويسي، آفاق الإبداع ومرجعيته في عصر المعلوماتية،دار الفكر، دمشق، ط1، 2001، ص 18.

15. فخري صالح : معرفة قريبة من رؤوس الأصابع عن الثقافة والمعلوماتية مجلةعمان العدد(110) آب 2004 ص– (65) وانظر كذلك فخري صالح، مقالة: على عتبة القرن الحادي والعشرين؛ أي علاقة بين الكتابة والتكنولوجيا، جريدة الحياة، العدد 13493، 2000/2/19.

16. Denis McQuail(1995):" Mass Communication and the Public Interest: Towards Social Theory for Media Structure and Performance." In Communication Theory Today: Edited by David Crowley and David Mitchell (Cambridge :Polity Press)

17. Frank Jennings (2001): " The Sixth Senses : Chip,Feb ,2001,p.42

18. Jon B. Alterman(1998): New Media New Politics?From satellite Television to the Internet in the Arab World . (Washington D.C.: The Washington Institute For Near East Policy).

19. Marshall Mcluhan (1989): The Gutenberg Galaxy. (New York: The New American Library).

20. Patrice Flichy(1995) DYNAMICS OF MODERN CO MMUNI CA TI ON :The Shaping and Impact of New Communication Technologies, Translated by Liz Libbrecht (London. Thousand Oaks. New Delhi :SAGE Publications)
21. Stephen Lax (1997) Beyond the Horizon Communications Technologies: Past, Present and Future.(Luton : University of Luton)
22. T. Baldwin & D.S. Mc Voy & C. Steinfield (1996): Convergence Integrating Media, Information & Communication . (California: Sage Publication).
23. Telecomasia 2000 August P . P:21-25)
24. The New York Times Feb 25,1999
25. Windos User Magazine (2001):Bluetooth: The Future: Can it Revolutionise Communication ?(FEB , 2001 : P 55-62

•

الفصل الخامس

الثقافة والمعلوماتية
تعقيب على ثلاث أوراق

الفصل الخامس

الثقافة والمعلوماتية
تعقيب على ثلاث أوراق

أوراق ثلاثة لكل منها مذاقها الخاص وأسلوبها المختلف مما يفرض عليها أن تكون ذات رؤى متباينة . ولعل أهم عامل مشترك بينها ليس كونها تتناول محوراً واحداً بعنوان رئيس مشترك فحسب ، بل أن كاتبيها ممارسون للكتابة الإبداعية ، من رواية وشعر وفن مقالة ونقد . وهذا يجعل مما يقدمونه له أهميته من واقع صلتهم بالكتابة خصوصاً وانشغالهم بالهم الثقافي .

التزمت ورقة فخري صالح بعنوان محور الندوة ، وكانت أشبه بشهادة شخصية لتجربة مثقف عربي انغمس في تجربة المعلوماتية وتأثيراتها عليه ، ولذلك كان الكاتب واعياً أنه يكتب شهادة عن تجربة ولا يكتب بحثاً فلم يشغل نفسه بالإطار الشكلي للبحث ولا للمصادر والمراجع والتوثيق.

أما دراسة مفلح العنوان فقد تسللت تحت عنوان فرعي للمحور وهو ثقافة الصورة ... والتكنو مثقف . وهي جاءت على شكل دراسة حيث هناك مفتتح وعناوين فرعية ومراجع ، وهذا الشكل جعل هذه الدراسة تقع بين ورقة فخري صالح الشهادة وورقة محمد عبد الله ذات الطابع الأكاديمي.

وكنت أتمنى لو أنها سارت في أحد المسارين السالفين الشهادة أو الدراسة البحثية التي حينما تستند إلى المراجع تقوم بتحديد الإحالات داخل النص ، وتلتزم كذلك بعنوان المحور الأساسي .

ولأن العنوان الفرعي للورقة كان ثقافة الصورة والتكنو مثقف فإنه قاد المؤلف بعيداً عن المعلوماتية ليقع في حضن الاتصال / الإعلام حينما دخل في موضوع الفضائيات والسينما لتحتل جزءاً غير يسير من ورقته وموضوع التلفزيون والسينما مختلف تماماً عن موضوع المعلوماتية .

أما ورقة د. محمد عبيد الله فقد انعطفت كذلك نحو عنوان فرعي .

((موسم الهجرة إلى الحاسوب ! من أناس جوتنبرغ إلى قرية بيل غيتس))

وهو عنوان يربط القارئ مباشرة بعنوان رواية الطبيب صالح وإحالاتها الفكرية في العلاقة بين الشمال والجنوب .

وهي ورقة تمتلك في عمومها خصائص الشكل الأكاديمي ، وإن كانت تحتاج إلى تماسك أكبر في بنائها التنظيمي . وخصوصاً أن موضوعاً بحثياً كان يحتاج إلى مراجعة للأدبيات في هذا المجال ، وهناك الكثير مما كتب عنه وخصوصاً ما صدر باللغة الإنجليزية وما أصدرته اليونسكو من وثائق حول هذا الموضوع أو ما له صلة به .

ولعلها ملاحظة عامة أن الاعتماد في ورقتي العدوان وعبيد الله كان على الترجمات التي تناولت هذا الموضوع وهي ترجمات محدودة جداً إذا ما قيست بالأدبيات التي يمكن الرجوع إليها في هذا المجال ، وبكبسة زر كان يمكن الرجوع من خلال المعلوماتية إلى المئات من الدراسات والوثائق المرتبطة بموضوع الثقافة والمعلوماتية / الثقافة والإنترنت .

واسمحوا لي هنا أن أقدم رؤيتي فيما يتعلق بموضوع الثقافة والمعلوماتية وهي تقدم رؤية نقدية من خلال مراجعة للأوراق الثلاثة معاً .

(في إطار ندوة السياسات الثقافية) لا يمكن النظر إلى الثقافة والمعلوماتية إلا من خلال نظرة متكاملة لموضوع الثقافة والمعلوماتية تأخذ في اعتبارها ما يلي :

أولاً : التفريق بين المعلوماتية وتكنولوجيا المعلومات .

ثانياً : العلاقة بين الثقافة بأنماطها الثلاث العليا والجماهيرية والشعبية وعلاقتها بالمعلوماتية .

ثالثاً : الاندماج الحاصل بين وسائل الاتصال المختلفة كأقنية للمعلومات .

رابعاً : التقنية المتطورة في كفاءة وحجم ورخص نقل المعلومات باستخدام الفايبر أوبتكس والأقمار الصناعية .

خامساً : الجانب التفاعلي لتكنولوجيا المعلومات وقدرتها الحالية إلى مخاطبة الحواس السمعية والبصرية والشمية (وهي تقنية أصبحت متطورة) بينما الحاسة اللمسية في موضع الاختبار والتطوير .

سادساً : الجانب القانوني والأخلاقي لما تقدمه تكنولوجيا المعلومات عبر المواقع المختلفة في الإنترنت والتي تشمل حقوق التأليف / المواقع الإباحية / اختراق الخصوصية / استغلال الأطفال وإغواءهم / ....إلخ وتأثيراتها على القيم والثقافة السائدة .

سابعاً : إن التحدي الحقيقي خلال العقود القادمة ينبني على أساس المضمون ، والمنافسة ستكون في أي مجتمع ، وعلى مستوى دولي مرتبطة

بتسويق المضمون في ظل توافر التكنولوجيا رخيصة الثمن التي توفر اليسر في الدخول إلى المعلومات .

ثامناً : إن جوانب السيطرة والتحكم في تكنولوجيا المعلومات ليست هي العامل الحاسم في مسألة الثقافة ولكن ذلك يتعداه إلى السيطرة على إنتاج المعلومات وتوزيعها . ولذلك فإن هيمنة الشمال على المعلوماتية تفرض تحديات أساسية للثقافات المختلفة تستدعي القدرة على التفاعل والمواجهة .

تاسعاً : إن أي ثقافة لها آلياتها في الدفاع عن ذاتها ، ونظرة سريعة إلى ما تم إنجازه بجهود فردية وجهود رسمية في مجال المعلوماتية يرينا إلى أي حد كانت هناك استجابات لإنشاء مواقع عربية ، لأفراد ومؤسسات خاصة وحكومية ، تجعلنا لا نُصاب بُرهاب تكنولوجيا المعلومات ولكننا نشعر بأنه بإمكاننا أن نغذَ الخطى في مجال استخدام تكنولوجيا المعلومات لتكون آلية ووعاء لنقل الثقافة العربية وتعزيزها.

عاشراً : إن موضوع العلاقة بين الإبداع وتكنولوجيا الاتصال ليست علاقة صراع ولا علاقة تنافر ، إن المستقبل يشير إلى أن المبدعين وخصوصاً أولئك القادمين مع المستقبل من الأجيال التي ترّبت في أحضان الحواسيب والإنترنت سوف يفيدون من إمكانيات تكنولوجيا الاتصال التفاعلية وقدرتها على مخاطبة أربع حواس على الأقل .

وستظل التكنولوجيا هي وسيلة يمكن توظيفها بطريقة إبداعية ، ما دام الحس الإبداعي والموهبة الخلاقة موجودة لدى بني البشر ، والخيال الإنساني ينمو مع نمو تجاربه ، وتوفر تكنولوجيا المعلومات فرصاً لاختبار

الإبداع كما لم يختبره الإنسان من قبل ، من خلال الواقع الافتراضي ، والتفاعل مع الآخرين بتجاوز حدود الزمان والمكان .

<u>حادي عشر</u> : إن الصلة بين طبيعة الوسائل الاتصالية وأسلوب توظيفها ونمط الحياة ، تظل موضع تساؤل منذ أن اقترح مارشال مكلوهان فرضياته الأساسية

- العالم قرية كونية .
- الرسالة هي الوسيلة .
- الوسائل الاتصالية كامتداد للحواس .
- تقسيم الوسائل الاتصالية إلى وسائل ساخنة ووسائل باردة . ومن ثم لا بد من دراسة تأثيرات الاتصال في المجتمع وثقافته .

<u>ثاني عشر</u> : كما أشار أكثر من باحث ستظل قضية صلة الإبداع والهُوية قائمة وتشكل تحدياً ، وستكون العلاقة الجديدة باستخدام الحاسوب ، بل وبالقلم الحاسوبي إذا كنا لا نريد استخدام لوحات المفاتيح ، وسيلة لعلاقة جديدة بالإبداع ، وإحساس مختلف عن الطريقة التقليدية ......إنها آفاق جديدة تخلق إحساساً جديداً وتجربة جديدة لإبداع جديد . ولذلك فإن عصر المعلومات يخلق كما يخلق كل عصر أسطواته حسب تعبير د. نبيل علي ، ولكن الإبداع يحتاج إلى شيء إضافي للحرفية والمهارة المكتسبة التي يزاولها المهنيون الجدد في عصر المعلومات .

ولذا فالإبداع في منجى من خطر تهديد الحرفي ، إذا امتلك المبدع مهارات التعامل مع أساليب المعلوماتية الجديدة ووظف مخزونه الثقافي مما يبرز هُويته الثقافية المستقلة .

ثالث عشر : إن سهولة الوصول إلى المعلومات وفيضانها سوف تؤثر على طبيعة استغلالنا لها . ومن ثم فإن حجم البيانات التي تتوافر ستقود إلى الحاجة ليس فقط الوصول إليها بل إلى فن استخدامها خشية أن يغمرنا طوفانها مما يقودنا إلى اللامبالاة بها .

رابع عشر : إن إغواء الترفيه في شبكة الإنترنت ، وما يُوفره الميل والرغبة الطبيعية للمرء للراحة والتسلية ستقود إلى التوجه نحو المواقع الترفيهية كالألعاب والموسيقى وغرف الدردشة مما يقود إلى عزوف الأجيال الجديدة عن مواقع الثقافة الراقية ومواقع المعلومات الجادة ومن ثم فإن الثقافة الجماهيرية تميل إلى التسطيح وتهدد الثقافة الراقية .

خامس عشر : إن التعدد الثقافي وتنوعه لا يواجه خطر الانصهار في بوتقة واحدة في ظل العولمة الاتصالية كما يتوهم البعض ، بل إن ما يتحقق اليوم كما أشرنا في أكثر من دراسة في ظل قرية كونية اتصالية بأن التوجه العالمي يميل إلى تعزيز الشخصيات القومية ، والتي أسميناها بقبائل القرية الكونية ، حتى في الولايات المتحدة لم تعد وسائل الاتصال بما فيها الإلكترونية عامل صهر بل أصبحت عامل تشظية في المجتمع ، فالعرب الأميركان يشاهدون الفضائيات العربية ويتفاعلون مع المواقع الإلكترونية العربية ..... إلخ وهكذا الأميركان من الأصول القومية المختلفة .

سادس عشر : إن الفجوة القائمة بيننا وبين الغرب في تكنولوجيا المعلومات ليست قروناً ولكنها في أسوأ أحوالها عقوداً إن لم تكن عقدين فحسب ، وهي تجربة إنسانية عامة في ثقافتها والقلم في كتابتها ، وبين الأجيال الجديدة الحاسوبية التوجه .

سابع عشر : إن تجربة المعلوماتية على الرغم من إتاحتها الفرصة الديمقراطية للتفاعل والتواصل ، إلا أنها في طبيعتها لا يمكن تجاوز السلطة التي تفرض النص وتقترح النص المفرع والإحالات من داخله إلى نصوص أخرى ومواقع أخرى .

ثامن عشر : إن مصطلح التكنو مثقف مصطلح جديد بالتعمق ، ولكن التكنو مثقف ليس بالضرورة أن يكون خبيراً بأسرار الآلة ، ولكنه يجب أن يكون خبيراً بمعالجة المعلومات إلكترونياً .

استقيت هذه الملاحظات من واقع الأوراق الثلاثة ، ويظل بعد هذا أن ما قدمه أدباء من رؤية لعلاقة الثقافة بالمعلوماتية إنما هي جديرة بالتقدير والأخذ في الاعتبار حينما يتم إعداد السياسات الثقافية .

مؤلفات

صالح خليل أبو أصبع

أ – في النقد الأدبي :

1. **فلسطين في الرواية العربية** (بيروت : مركز الأبحاث 1975).
2. **قراءات في الأدب** (طرابلس : الشركة العامة للنشر والتوزيع 1978).
3. **الحركة الشعرية في فلسطين المحتلة** (بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر 1978).
4. **الرواية الفلسطينية والمنفى : الجزيرة العربية مكانا** (الشارقة : اتحاد كتاب الإمارات 2001)
5. **قراءات في أدب** المقاومة وثقافتها. (تحت الطبع)

ب– في الاتصال :

1. **الإعلام والتنمية : نموذج مقترح للاتصال التنموي** (دبي:مؤسسة البيان للصحافة والطباعة والنشر 1985).
2. **قضايا إعلامية** (دبي: مؤسسة البيان للصحافة والطباعة والنشر 1988).
3. **دراسات في الإعلام والتنمية العربية** " تحرير وتقديم " (دبي:مؤسسة البيان للصحافة والطباعة والنشر 1989).
4. **الاتصال والإعلام في المجتمعات المعاصرة** (عمان: دار آرام للدراسات والنشر 1995 الطبعة الرابعة مزيدة 2004).
5. **الأسس العلمية للإدارة : نظريات وتطبيقات – إدارة المؤسسات الإعلامية في الوطن العربي** (عمان : دار آرام للدراسات والنشر1997)
6. **مناهج البحث الإعلامي**– تأليف ويمير ودومينك طبعة ثانية (ترجمة)(عمان :دار آرام للدراسات والنشر 1998).
7. **العلاقات العامة والاتصال الإنساني** (عمان : دار الشروق 1998 الطبعة الثانية 2004)
8. **الاتصال الجماهيري** (عمان : دار الشروق 1999)
9. **تحديات الإعلام : المصداقية الحرية والهيمنة الثقافية** (عمان : دار الشروق 1999)
10. **نصوص تراثية في ضوء علم الاتصال** (عمان : دار آرام للدراسات والنشر 2001).
11. **استراتيجيات الاتصال وسياساته وتأثيراته.** (عمان : دار مجدلاوي 2005)

ج– قصص قصيرة :

1. **عراة على ضفة النهر** (القاهرة : مطبعة المعرفة 1972).
2. **محاكمة مديد القامة** (بيروت : دار القدس 1975).

3. **أميرة الماء** (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر 1978).

4. **وجوه تعرف الحب** (قبرص : دار الملتقى 1992).

5. **قصص بلون الحب** : المجموعات القصصية (2001).

د- كتب عامة :

1- **الحق والبندقية** (طرابلس : الشركة العامة للتوزيع والنشر 1980).

2- **في الفكر والحضارة** " تحرير وتقديم " (**عمان: دار البركة 2005)**

كتب مشتركة

1- **إدارة المؤسسات الإعلامية:** بالاشتراك مع خالد محمد أحمد (دمشق: دار صبرا للطباعة والنشر 1984)

2- **فنون الأدب الحديث** ، بالاشتراك مع آخرين (عمان: جامعة القدس المفتوحة1995)

3- **-الاتصال والعلاقات العامة**، بالاشتراك مع د. تيسير أبو عرجه (عمان: جامعة القدس المفتوحة 1996).

4- فنون الكتابة الإعلامية : فن المقالة . بالاشتراك مع د.محمد عبيدالله (عمان : دار مجدلاوي 2001).

5- **نحو دراسة تأصيلية للرواية الفلسطينية المعاصرة** ، بالاشتراك مع آخرين. بحث بعنوان :" الدراما والفنتازيا في الرواية الفلسطينية " (فلسطين – رام الله مركز أوغاريت للنشر والترجمة ، ط1، 2000)

6- **Libya Terrorist or Terrorized** :An Inquiry into Politics, Ideology &Communication - Coeditor. Ontario, Canada: Jerusalem International Publishing House1982